مَنْهَجُ

العلّامة المحدِّث

مُحمّد ناصِر الدِّين الألباني

في

التَّعامُل مع المخالِفين

أعدّه

هادي بن عصام الدين بن عبد الكريم

الرسالة العالمية



مَنْهَج

العلامة المحدث

محمد ناصر الدين الألباني

في

التعامل مع المخالفين



بسم الله الرحمن الرحيم



دار الرسالة العالمية

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah m.
Publishers

الإدارة العامة

Head Office

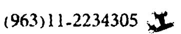
دمشق - الحجاز

شارع مسلم البارودي

بناء خولي و صلاحي

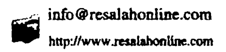
 2625

(963)11-2212773


(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية

Syrian Arab Republic

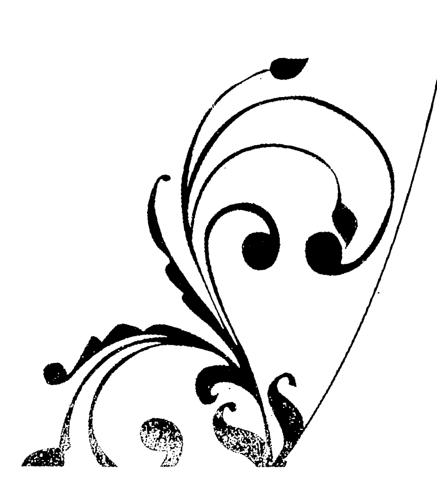

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت

BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

الطبعة الأولى

٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ



مَنْهَجُ

العَلَّامَةِ المُحَدِّثِ

مُحَمَّدْ نَاصِرِ الدِّينِ الأَلْبَانِيِّ

فِي

التَّعَامُلِ مَعَ المُخَالِفِينَ

أَعَدَّهُ

هادي بن عصام الدين بن عبد الكريم

الرسالة العالمية


بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ .

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: فهذه رسالة بينت فيها منهج العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله تعالى - في التعامل مع المخالفين، وذلك باستخراج وجمع أقوال له؛ قالها في أشرطة وضعت في مكتبة صوتية إلكترونية؛ اسمها: «برنامج أهل الحديث والأثر».

وبما أن ما يقال شفاهة في المجالس يختلف عما يقال كتابة؛ من حيث الأسلوب والنظام والتنسيق؛ فإنني قمت بتحويل بعض الألفاظ من تلك الأقوال إلى الفصيحة، وبتنسيق بعض العبارات؛ تقريباً - أكثر - للفهم وتوضيحاً، من غير إخلال بالمعنى وتحريف للدلالة ألبتة.

واللهَ أسأل أن ينفع بها كل من قرأها بقلب سليم، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه: هادي بن عصام الدين

– سأل رجل من العراق العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى عن كيفية تعامل السلفيين في العراق مع مخالفين لهم معادين.

– فأجابه الشيخ قائلاً[1] : «يا أخي – بارك الله فيك – أنت الآن تسأل عن كيفية التعامل مع هؤلاء. ومن قبلُ قلتَ: هل نواجههم؟

لا تؤاخذني إن قلت لك: الضعيف يواجه القوي؟!».

– السائل: «لا، طبعاً، ما عنده القدرة على المواجهة».

– الشيخ: «فإذن؛ السؤال من أصله غير وارد. المواجهة غير واردة، ولكن ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ، فمن حيث الضعف والقوة؛ وضعكم الآن – كما هو وضع كثير من السلفيين في كثير من البلاد الإسلامية – أشبه بموقف الصحابة في العهد المكي؛ من حيث الضعف ، وليس من حيث الأحكام الشرعية.

وأظنك تفرق معي بين هذا وهذا؛ لأننا نسمع – أحياناً – بعض الأشرطة تكاد تكون صريحة بأنه : (الآن؛ نحن يجب أن نعود إلى العهد المكي)! وهذا فيه تعطيل للأحكام الشرعية؛ لا يجوز للمسلم أن يقع فيه.

لكن من حيث الضعف والقوة؛ كثير من المسلمين في كثير من البلاد الإسلامية هم كالصحابة في العهد المكي، فماذا كانوا يفعلون؟

هل كانوا يواجهون؟

قل: لا.

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ٦٧٥) : (٠٢:١٠).

وسأقول ما هو أكثر:

هل كانوا يفكرون في المواجهة؟

لا. في ماذا كانوا يفكرون؟

كانوا يفكرون في المهاجرة؛ أي: في الهجرة. وهذا الذي وقع في أول الأمر من هجرة الحبشة، ثم الهجرة الثانية، ثم الهجرة إلى المدينة.

هو - كما ألمحتَ في بعض كلماتك - : أن تُعنوا بالعلم، والعمل به؛ يعني أن كل واحد منا - في حدود استطاعته - يهتم بما نكني عنه بكلمتين : «التصفية، والتربية».

فنحاول أن نتبنى الإسلام في حدود إمكانية كل واحد منا:

واحد دائرته ضيقة صغيرة، واحد أكبر، واحد أكبر؛ على هذا.

ثم مع هذا العلم؛ يَقترن به العمل؛ وهو: تربية أنفسنا ومن يلوذ بنا. هكذا بدأ الرسول - عليه الصلاة والسلام - الدعوة، وهكذا ينبغي نحن أن نستن بسنته.

أما أن ننصُب - رأساً - حالنا تجاه الطواغيت المختلفة الأسماء والحزبيات ونحو ذلك؛ فهذا ليس من الشرع، بل ولا من العقل في شيء.

فما عليكم إلا العلم والعمل. ثم ربنا عزوجل هو الذي يجعل الخاتمة للضعفاء والمتمسكين بالكتاب والسنة.

ولا يهمَّنَّكم ما أشرتَ إليه آنفاً من أنكم تنسبون إلى الطعن في الرسول والأولياء والصالحين والأئمة وإلى آخره، لأن هذه سنة الله في خلقه؛ الحق - دائماً - في خصام وجدال مع الباطل، والخاتمة للمتقين، كما قال رب العالمين : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ .

لذلك؛ نحن ننصح إخواننا أن يمشوا الهوينا، ولا يفعلوا كما يقولون في بعض البلاد السورية : «يحملوا السُّلَّمَ بالعرض ويمشوا»، وإنما رويداً رويداً؛ كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾.

أما أنه يقال فيكم كذا وكذا؛ فقد قيل في الرسول ما هو أكثر من ذلك. وقال الله عزوجل - مسلياً له - : ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾».

- سأله رجل قائلاً[1] : «إن أصر الناس على أن يشركوا بالله سبحانه وتعالى... فكيف التعامل معهم؟ هل نقول: هؤلاء كفار؟».

- الشيخ: «لا يا أخي!

لا يجوز مبادرة المسلم إلى تكفير المسلم؛ لأنه:

أولاً: التكفير من أخطر الأمور.

ثانياً : من أصعب الأمور.

ولا يستطيع أن يتقدم إلى الحكم على إنسان بأنه كفر إلا من كان متمكناً في الكتاب والسنة معرفة وعلماً، ثم كان من الذين عرفوا برباطة الجأش، وعدم الإستسلام للهوى الذي إذا تغلب على صاحبه أعماه عن أن يبصر الحق الذي جاء به الشرع. هذا من جهة.

---

(١) (٢٥:٠٩).

ومن جهة أخرى؛ ليس هناك - يا أخي!- فائدة تذكر من وراء إعلان التكفير لزيد ، أو بكر، أو عمر؛ سواء كانوا من الحكام، أو من المحكومين؛ لأنه - نعود إلى الأصل الذي لفتُّ نظرك إليه - نحن الآن ضعفاء.

نحن الآن في موضع يتوجه إلينا قول ربنا تبارك وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾.

أما إذا أردت أن تعلن بأن فلاناً كافر، وفلاناً كافر؛ فحينئذ هذا يجب أن يكون معه سيف؛ أن يدعو هذا الكافر فيتوبه، فإن تاب، وإلا قُتل. أين نحن، وأين هذا الحكم؟!

ولذلك؛ ما ينبغي أن ندندن حول التكفير، بل - أقول - وحتى حول التضليل. لسنا نحن في موقع القوة.

حتى التضليل الذي هو - إيش؟ - دون التكفير؛ لأننا إن ضللنا غيرنا عاد هؤلاء فضللونا، بل إن كفّرنا غيرَنا عاد هؤلاء بتكفيرنا، بل هم يكفروننا - وعلى الأقل يضللوننا - ونحن لا نكفرهم، ولا. لماذا؟ لأنهم ينظرون وهم من فوق، وينظرون إلينا ضعفاء.

ولذلك؛ ما ينبغي أن نفكر نحن في موضوع التكفير، بل حتى ولا موضوع التضليل، وإنما كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وقال عزوجل: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾.

فنحن نعرض دعوتنا كما أنزله الله عزوجل صافية منقاة من كل دخيل على مر هذه السنين الطويلة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، لأن هذا الأمر - في الحقيقة - يحتاج إلى جهود جبارة من علماء كبار وفحول؛ عاشوا حياتهم في دراسة الكتاب والسنة، حتى يتمكنوا من تصفية الإسلام مما دخل فيه؛ سواء في العقائد، أو في الأحكام الفقهية، أو في السلوك والأخلاق، أو في تمييز الأحاديث الضعيفة والموضوعة، إلى آخره.

هذه التصفية - من كل هذه الجوانب المتعلقة بالإسلام - في الحقيقة تحتاج إلى علماء كبار كثيرين منبثين في العالم الإسلامي، ومع ذلك فهؤلاء كما قال الشاعر:

وقد كانوا إذا عُدّوا قليلاً فصاروا اليوم أقل من القليل

وعلى هذا؛ فطالب العلم من أمثالنا يَقنَع بأن يفهم هو في نفسه - أوّلاً - هذا الإسلام، وأن يطبقه في نفسه - أيضاً - في حدود الإمكان، ثم ينقل هذه الدائرة من نفسه إلى من حوله؛ إن كان له زوجة فزوجته، إن كان له منها أولاد فأولاده، إن كان له جيران فجيرانه، إن كان له أصحاب، وهكذا، كالحصوة تلقى في الماء الهادئ فتعمل الدائرة الأولى، والثانية، والثالثة، حتى تضيع الدوائر بسبب سعة الإنتشار. هكذا انتشر الإسلام في الأول.

والرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء»، من هم الغرباء؟

لقد جاء تفسير الرسول - عليه الصلاة والسلام - في عدة مناسبات صح منها مناسبتان:

مرة سُئل - عليه الصلاة والسلام - : من هم الغرباء؟ قال: «هم ناس قليلون صالحون بين ناس كثيرين؛ من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»، وهذا الوصف منطبق الآن تماماً.

والوصف الثاني - وهذا أعز وأندر - : قال - عليه الصلاة والسلام - في مناسبة أخرى: «هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي من بعدي».

الإفساد بحر لا ساحل له؛ كل هذه القرونِ والسنة تُفسد، والبدعة تُحيى، وهكذا.

فالذي يريد أن يصلح ما أفسد الناس ينبغي أن يكون - كما قلنا آنفاً - :

أولاً: متمكناً متضلعاً في معرفة الكتاب والسنة وما كان عليه سلفنا الصالح.

ثانياً: مخلصاً لله عزوجل في عمله ؛ أن لا يكون موظفاً، لأن الوظيفة - كما نشاهد في كل البلاد الإسلامية- هي غل وطوق في عنق الموظفين؛ لا يتحركون إلا في حدود هذا الطوق؛ إن كان مشدوداً، أو كان مرخياً، كالفرس يُمد لها في المقود فتأكل في حدود هذا المقود؛ إن كان قصيراً كانت الدائرة التي تدور فيها وتأكل فيها قليلاً جداً، وإن مُد لها توسَّعتْ، وهكذا.

فلذلك؛ نحن الآن في غربة مضاعفة الأشكال والألوان، غربة من حيث أن المسلمين لا يعملون بإسلامهم الذي لا يزال معروفاً لديهم أنه من الإسلام، وأنه ليس فيه اختلاف:

مثلاً؛ تبرج النساء؛ والحمد لله فيما أعلم أنه لا يوجد هناك علماء يبيحون تبرج النساء، لا يوجد هناك أحزاب إسلامية يُبيحون تبرج النساء، لكن هذا التبرج واقع.

فهناك أحكام لا تزال - والحمد لله - كما أنزلت، مع ذلك فهي متروكة.

لكن أخطر من هذا؛ أحكام قُلبت ظهراً لبطن، وغُير حكم الشرع فيها، هذا هو المهم، وهذا هو الذي ينبغي أن يهتم علماء المسلمين الناصحون بتغييره . وهؤلاء هم المقصودون بالحديث الثاني: الغرباء هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي من بعدي.

ونحن نشاهد - والحمد لله - أنه يوجد في العالم الإسلامي ما أصبح معروفاً بالصحوة الإسلامية، لكن هذه الصحوة:

أولاً : هي في خطوتها الأولى، وهي تحتاج إلى خطوات كثيرة جداً، ومديدة وطويلة.

ثانياً: توجد صحوة من الناحية الفكرية والعلمية ، لكن لا توجد هناك صحوة أخلاقية.

وما يقع - الآن - بين الأحزاب المختلفة في كثير من الأحيان إنما سببه فساد الأخلاق، ليس لأن فلاناً يجهل أن الحق مع فلان، هذا قد يكون، لكن - أحياناً - قد لا يكون، ومع ذلك تجد العداء الشديد بين الحزبين، لماذا؟

لأنّ الأهواء تسلطت على أكثر الناس، فهم لا ينطلقون من علمهم، وإنما من أهويتهم.

لهذا نحن نقول: إن علينا - نحن - الآن أن نعمل مقروناً العمل بالعلم النافع ؛ ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾».



- سألوا[١] الشيخ عن التسامح مع أهل البدع.

- فأجاب - بعد بيان لمسائل - قائلاً[٢] : «والتسامح - الذي ذُكر آنفاً في السؤال عن بعض الناس - في اعتقادي أنه يعني : أن المتمسك بالسنة يتسامح مع المبتدعة ، ولا يعاديهم معاداة تبعده عنهم و تبعدهم عنه؛ لأن من آداب الدعوة كما نعلم جميعاً - و الحمد لله - قوله تبارك وتعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾.

لا شك أن أكبر ضلالة هي الضلالة التي كان عليها المشركون الذين كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون، ومع ذلك فالرسول ﷺ كان يتلطف معهم، ويترفق بهم، ويلطف الأسلوب معهم إلى أبعد حدود الحسن واللطف.

ولعله يحسن بهذه المناسبة أن نُذكر بحديث السيدة عائشة - رضي الله تعالى عنها- حين روت أن يهودياً دخل على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قائلاً : السّام عليك يامحمد. فقال عليه الصلاة والسلام: وعليك.

أما عائشة - من وراء الحجاب انفطرت شطرين غضباً و حماساً لرسول الله ﷺ - فقالت: وعليك السّام واللعنة والغضب إخوة القردة والخنازير.

فانظر الآن موقف الرسول، وموقف هذه المرأة الفاضلة المتحمسة. وتعرف تمام القصة؛ حينما قال عليه الصلاة والسلام : يا عائشة! عليك بالرفق، فما كان الرفق في

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٦١١) : (١٦:٣٨).

(٢) (٣٠:٤٤).

شيء إلا زانه، وما كان العنف في شيء إلا شانه. قالت: يا رسول الله، ألم تسمع ما قال؟ قال لها: ألم تسمعي ما قلت؟ ما كنت غافلاً، لكني كنت هيّناً ليّناً. ومعروف من أدب القرآن: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾.

فأنا أفهم من كلمة التسامح هو هذا المثال:

أنا سلفي أتسامح مع المبتدع، لا أن أتسامح مع نفسي فآخذ بعض العقائد دون بعض؛ آخذ بالعقائد الهامة أو الأهم، وأتسامح ولا أهتم بال ، لا، ليس كذلك.

وما أعتقد أن طالب علم عنده شيء من الفقه في الكتاب والسنة يمكن أن يعني بكلمة التسامح : أي: هو بنفسه. لا».

- سأله[١] أحدهم: «يعني: ما ترون مقاطعة المبتدع وهجره؟».

- الشيخ[٢]: «لا، لا، ما نرى هذا.

هذا يا أخي كما نقول لكم ولغيركم - ممن تسمعون أسألتهم - : إذا أردنا في هذا الزمان أن نطبق المنهج - هنا أرجو أن تنتبه الآن ؛ كيف يختلف المنهج - السلفي الذي ورثناه عن بعض علمائنا من السلف من الشدة على المبتدعة وهجرهم ومقاطعتهم وعدم الإصغاء إليهم عُدنا القهقرى.

كما أقول: لو أننا كان لنا صديق - مثلاً - كان معنا على الخط، ثم انحرف حتى بدأ لا يصلي، فكثيراً ما يأتي السؤال من بعض المتحمسين: ألا نقاطعه؟

---

(١) (٣٤:٣٤).

(٢) (٣٤:٣٩).

أنا أقول: لا، لا تقاطعه، وإنما تابعه بالموعظة والنصيحة والتذكير، وإلا؛ إذا قاطعته سوف يكون لسان حاله - كما نقول لكم في المثل السوري ؛ هذا الذي كان لا يصلي وتاب وأناب وراح إلى المسجد ليصلي لأول مرة، وإذا بالمسجد مغلق، قال له:- أنت مُسَكَّر وأنا مُبَطِّلٌ.

فهذا الذي ابتلي بترك الصلاة ؛ إذا عاملته بالقسوة والشدة وعرضت عنه من باب المقاطعة - وباب المقاطعة أصله مشروع في حديث الثلاثة الذين خُلِّفوا، لكن يجب وضع الشيء في محله - هذا التارك للصلاة، الذي فوجئنا بتركه للصلاة إن قاطعناه زدناه ضلالاً، وإنما ينبغي أن نتابعه بالموعظة والتذكير والتلطف معه والترفق به كما فعل عليه الصلاة والسلام مع ذلك اليهودي.

وعلى هذا - أيضاً - نسوق المبتدعة ؛ لو تركناهم وشأنهم وضلالهم فمن الذي سيتولى هدايتهم».

- سأله: «إذن؛ نقول: لا يجوز للمصلحة؟».

- الشيخ: «نعم، اليوم؛ لا يجوز.

كما أنه نقول: لا يجوز إذا لقيت امرأة متبرجة أن تقول في وجهها: «لعنة الله عليك»؛ للمفاسد التي تترتب.

لكن لو عاد المجتمع الإسلامي وشذّت امرأة عن هذا المجتمع الإسلامي وخرجت هكذا متبرجة؛ فهناك يأتي هذا الجهر والصدع، تماماً كما قال عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه».

فهذه المراتب ما قيلت هكذا عبثاً، حاشا لله أن يتفوه رسول الله ﷺ بكلام ليس فيه الحكمة المعروفة عنه، لكن هذا تيسير من الله لعباده المؤمنين أن يستعملوا الحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يوجد مجال لتغيير المنكر باليد؟ غَيِّر.

كم وكم - قديماً - كسروا من الطنابير والطبول ونحو ذلك. الآن لو فعلنا شيئاً من هذا كان مصيرنا العذاب والسجن وإلى آخره.

ثم المصير الأخطر أن هذا المتحمس يرجع القهقرى، ويرجع إلى الوراء، وهذا نعرفه بأشخاص؛ أقصد أنه نعرف أشخاصاً كانوا متحمسين، مجرد ما دخلوا السجن وخرجوا منه أصبحوا ما يتعرفون على الدعوة إطلاقاً.

ونعرف شيخاً في دمشق الشام كان يتجرأ على الإنكار على القبوريين والطوافين بها ما شاء الله، حتى قامت عليه الرعاع وعامة الناس وضربوه وأهانوه، فكانت العاقبة ماذا؟

كنت تراه مع الجماعة الذين كان ينكر عليهم، ويقف أمام قبر يحيى - عليه السلام- المزعوم في مسجد بني أمية؛ المسجد الكبير متواضعاً هكذا متخشعاً إلى آخره.

لا، لذلك؛ أنا آخذ حكمة بالغة جداً من قوله - عليه الصلاة والسلام - : «إن لكل عمل شِرَّةً، ولكل شِرَّةٍ فترةً، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى بدعة فقد ضل».

ومن هذا الحديث وأمثاله أخذ العامة عندنا في الشام قولهم: «كثرة الشد يرخي»، وهذا أمر مادي طبيعي جداً؛ سواء كان في الماديات، أو في المعنويات. وها نحن الآن نبحث في المعنويات:

انقلب على عقبه؛ بعد أن كان يرفع عقيرته وصوته في الإنكار على المبتدعة فإذا هو ينقلب رأساً على عقب، هذا من حيث المعنويات.

من حيث الماديات: اقبض قبضة حديدية مهما كنت بطلاً متمرِّنا فستجد هذه القبضة ترتخي ولا بد.

أظن؛ انتهى الجواب عن هذا السؤال إن شاء الله».

- السائل: «نعم. لكن عندي استفسار فيما يتعلق بهجر المبتدع، شيخ».

- الشيخ: «تفضل».

- السائل: «يعني؛ يظهر مما سمعتُ أنكم تراعون مصلحة المبتدع نفسه، ولا تنكرون أصل الهجر».

- الشيخ: «لا أنكر الأصل، هذا واجب، كيف؟!».

- السائل: «فشيخنا، ما تلاحظ؟ راعَينا في القول بعدم الجواز في هجر المبتدع مصلحتَهُ هو هذا المبتدع، وما راعينا مصلحة العامة الذين قد يضلون باتصال هذا العالم السلفي، أو الإمام أو كذا بهذا المبتدع ومخالطتِه، فيتأثرون ويظنون بأنه ليس على بدعة فيَضلون تأثراً.

ثم أمر آخر».

- الشيخ: «خَلِّ الأمر الآخر، حتى ننظر في الأمر الأول:

هذه المسائل؛ في الحقيقة - يا أخي، من حيث التطبيق العملي - تحتاج إلى علم دقيق وتطبيق عملي دقيق:

فالآن أنت ضربت مثلاً بالعالم الذي يخالط المبتدع، فيراه العامة فيظنون بهذا المبتدع خيراً. هل تصورت أن هذا العالم مداهن؟».

- السائل: «لا».

- الشيخ: «طيب، إذن ؛ إن تصورت خلاف ذلك - كما أرجو - أستطيع أن أقول: تصورتَ: أنه ينكر عليه بدعته، ينصحه، يعظه. فإن كان كذلك فمن أين يأتي الخطر على عامة الناس وهم يسمعونه: ينصحه، ويذكره، و، و.

فإذن؛ الخطر الذي أنت تُلمح وتشير إليه هو بالنسبة لمن يداهن، وليس بالنسبة لمن ينكر وبالتي هي أحسن.

فإذن؛ هناك فرق بين عالم وآخر؛ أي - بمعنى آخر - : من يقول: (إنه يسايرهم ويسكت عن بدعهم وضلالهم، وهذا هو التسامح) نحن ننكر هذا. فلا بد من البيان».



- يسألون[١] الشيخ عن: التحذير، والمقاطعة، والهجر، والولاء والبراء.

- فيجيب[٢]: «نحن من مشكلتنا في هذا الزمان ؛ أننا نعالج الأمور بالعواطف.

أردت أن أقول: إن كثيراً من الشباب – اليوم – المتحمس لإسلامه ودينه يعالج بعض المسائل الفقهية الدقيقة معالجة قائمة على العاطفة الإسلامية؛ معالجة غير مقرونة بالعلم المستند إلى الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

فأنا أعتقد أن مثل هذا السؤال؛ أي: التحذير، المقاطعة، الهجر، الولاء، البراء، هذه أمور إنما تتعلق بمجتمع إسلامي قوي بإمكانه أن يحقق: أولاً: مثل هذه الأمور. وثانياً: أن يستثمر ثمراتها اليانعة والناضجة.

فالآن؛ التحذير ليس من الضروري أن تقترن معه المقاطعة والهجر في هذا الزمن، أما حينما يكون مجتمعنا مجتمعاً إسلامياً فالأمور هذه كلها يجب أن تكون مجتمعة.

اليوم مثلاً – مثال واضح جداً – : المسلم الذي لا يحافظ على الصلاة ، الذي يصدق عليه الحديث الذي أوردتَه في سؤالك: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة، فمن ترك الصلاة فقد كفر»، هذا الرجلُ – كما قلتُ آنفاً – التعبير الصحيح الشرعي في حقه أن يقال: «إنه فاسق»، هذا إن لم يكن كافراً مرتداً عن دينه. ولا يقال إلا من باب تنعيم الألفاظ : إنه غير ملتزم.

هذا فاسق.

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٧٣٥) : (١٢:٥٧) : تم تسجيله سنة: ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢) (١٥:٠٢).

طيب، وذاك الكافر؟ أفسق منه.

إذن ؛ نحن نتكلم عن هذا، ثم قد نكون بحاجة إلى أن نتكلم عمن هو أفسق منه؛ وهو الكافر.

هذا المسلم التارك للصلاة، الخارج عن طاعة الله فيها - ولذلك يستحق اسم الفاسق - : لو أننا حذرنا الناس منه ، وربطنا مع التحذير منه ما قلتُه آنفاً مقاطعته، هذا التحذير ، وهذه المقاطعة والهجر لا يثمر الثمرة المرجوة من كل هذه الألفاظ الثلاثة؛ التحذير، المقاطعة، الهجر. لماذا؟

لأنك إن أنت قاطعته وَجَدَ عشرات من أمثالك يواصلونه، ولذلك فستنعكس القضية؛ فتصبح أنت مقاطَعاً منه، وليس هو مقاطعاً منك. وحينئذٍ ما فائدة مقاطعتك إياه!

هذا يذكرني بمثل سوري، وله مثيل هنا، لكن العبارة السورية تقول: إنه زعموا أن فاسقاً تاركاً للصلاة تاب إلى الله وأناب، ولأول مرة يذهب إلى المسجد ليصلي، فيجده مغلقاً، فيقول: «أنت مسكر، وأنا مبطل»، مفهوم طبعاً هذا المثل؟

طيب، كذلك لسان حال هذا الفاسق اليوم التارك للصلاة؛ إذا أردت أنت هجره، مقاطعته، التحذير منه؛ ما يبالي بك، يقول لسان حاله: أنت مسكر وأنا مبطل، أنت مقاطِع وأنا أقطع منك، وأبعد عنك. وهكذا.

خلاصة هذا الكلام؛ أن مبدأ المقاطعة اليوم والهجر غير وارد؛ لأننا في زمن ضعف المسلمين، وهذه الرابطة التي تربطهم بالإسلام الصحيح المتمثل في قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل

الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»؛ المسلمون اليوم ليسوا كذلك.

ولذلك؛ فليس عندنا اليوم وسيلة ينبغي الإعتماد عليها في لمّ شَمْل هذا التفرق الموزّع والمبعثر اليوم إلا في الإعتماد على قوله عزوجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾، هذه هي الوسيلة التي ينبغي الآن أن نعتمد عليها.

فإذا رأينا شخصاً فاسقاً معرضاً عن القيام ببعض ما فرض الله على المسلم؛ فنعظه ونذكّره ونترفق به.

كذلك إذا رأينا شخصاً، أو أشخاصاً؛ هم لا نستطيع أن نقول إنهم فساق، لأنهم نفترض أنهم يحافظون على الفرائض المعروفة فرضيتها ووجوبها عند المسلمين كافة- أي: هي من القسم الذي يقال: إنه من المعلوم من الدين بالضرورة - فقد نجد أشخاصاً يقومون بمثل هذه الفرائض لا يُخلون بها بحيث أن مثابرتهم على هذه الفرائض تحول بيننا وبين إطلاق كلمة الفسق عليهم، ولكن مع ذلك يمكن أن يكون في هؤلاء انحراف عن العقيدة الصحيحة في مكان ما، أو عقائد كثيرة، ممكن هذا.

والفِرَقُ - التي نسمع أسمائها اليوم مسجلة في كتب الفِرَق والتأريخ، ولا نجد لها ذكراً كأسماء في عصرنا الحاضر، لكن نجد لها أثراً في واقع كثير من الجماعات الإسلامية، أو الأفراد المسلمة؛ المعتزلة مثلاً، الجبرية، القدرية، الخوارج، أل ، أل ، إلى آخره - كان يوجد فيها من انحرف عن السنة في العقيدة من هو معتبَر من العُبّاد

الصالحين، مع ذلك فهو من الضالين، مثل عمرو بن عبيد المعتزلي، هذا يضرب به المثل في صلاحه وتقواه، ولكنه كان يحمل مذهب الإعتزال، فهذا لا يقال عنه فاسق، لكن يقال عنه إنه ضال عن العقيدة الصحيحة.

وهذا النوع اليوم له وجود في الأرض المسلمة، وإن كان ليس هناك طائفة أو جماعة يقولون: نحن معتزلة. أنا ما سمعت إلا برجل واحد يعلنها صريحة في هذا البلد أمام الناس يقول: أنا معتزلي. وفعلاً هو معتزلي، وأضل من ذلك، ولسنا الآن في صدده.

فالشاهد: مِثْلُ هؤلاء الضالين - أيضاً - يجب أن نترفق بهم، ونقيم الحجة عليهم من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ، ومن أقوال السلف الصالح والأئمة المجتهدين.

هكذا يجب أن يكون موقفنا من المنحرفين عن الإسلام إما عملاً وإما فكراً، لريثما يتقوى المسلمون وتصير لهم صولة ودولة، فحينئذٍ هؤلاء حينما يُبَلَّغون الإسلام الصحيح، ثم لا يرتدعون عما هم فيه من فسق أو ضلال؛ حين ذاك لهم حكم آخر؛ هذا الحكم لا يتعلق بفرد من أفراد المسلمين الصالحين، وإنما يتعلق بالحاكم المسلم، وهذا عسى أن يكون قريباً إن شاء الله.

لعلي أجبتك عن سؤالك».

- السائل: «تتمة لهذا: كذلك غير المسلمين، كاليهود والنصارى، وإلى آخره؟».

- الشيخ[1]: «إي نعم، كذلك بلا شك.

---

(١) (٤٠:٢٦).

اليوم؛ مع الأسف - يا أخي - وضع المسلمين وضع خطير جداً:

اليوم؛ النصارى، بل واليهود، بل والمجوس؛ يعيشون في الوطن الإسلامي باسم مواطنين، ولا يفرق الحكمُ الحاكمُ بين مسلم وبين غير مسلم، وكلهم تشملهم كلمة مواطن، وربنا عزوجل يقول: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ .

لذلك؛ هذا المجتمع الذي بلغ به الفساد إلى هذه المرتبة؛ لا يجوز لفرد من أفراد المسلمين الصالحين العاملين بعلمهم أن يجابهوا هذا المجتمع بقوة سيتراجع بعدها القهقرى، وإنما بالقوة التي لا يمكن أن تقهر، وهي قوة الحجة والبيان».

- السائل: «كذلك تتمة السؤال - شيخ - : شفقة المسلم عليهم قبل إقامة ال؟».

- الشيخ: «هو هذا كله هذا، يعني: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ هو هذا معناه.

وأنا أقول بهذه المناسبة : كثير من إخواننا المتحمسين للإسلام الصحيح ينظرون إلى المسلمين الآخرين المنحرفين بجهلهم عن الكتاب والسنة نظرة ازدراء واحتقار وحقد وبغض دفين:

مثلاً: كثير من المشايخ يجيزون الإستغاثة بالأولياء والصالحين، يجيزون ما دون ذلك من باب أولى؛ التوسل بهم دون رب العالمين، يجيزون التردد إلى قبورهم، والتبرُّك بالإتيان إليهم، و، و، إلى آخره.

وصنف آخر؛ يحرمون اتباع الكتاب والسنة بحجة أن العامة لا يفهمون الكتاب والسنة، ويوجبون عليهم التقليد، فيكون موقف الآخَرين الذين هم معنا على

الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح معاداةَ هؤلاء، وبغضَهم البغض الشديد بحيث أنه لا يمكن أن يلتقي هذا مع هذا. هذا خطأ.

أنا أقول: هؤلاء - ولا أتورع من أن أسميهم باسمهم - ضالون عن الحق، ولا إشكال في إطلاق هذا التعبير إسلامياً حين أقول: إنهم ضالون عن الحق؛ فإن الله عزوجل أطلق على نبيه عليه الصلاة والسلام أنه حينما كان قبل نزول الوحي عليه يقول: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ ، فإذن؛ هؤلاء الذين يخالفون الكتاب والسنة فهم بلا شك ضالون.

أردت أن أقول: ما داموا كذلك فهم مرضى، يجب أن نشفق عليهم ونعاملهم بالرفق، وندعوهم كما جاء في الآية السابقة: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾، ولا نزال في هذا الموقف حتى يتبين لنا من أحدهم أنه مكابر ويجحد الحقائق، وأن الرفق واللين معه لا يفيد شيئاً، حينذاك يأتي هنا قول ربنا عزوجل: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.

هات السؤال الذي بعده».

- السائل: «أقصد يا شيخ؛ الآن - حتى ننتقل للسؤال الثاني، لأنه منفصل تماماً عن الأول - هل هذا بالنسبة للجماعة ككل، أم فرداً فرداً؛ إذا تبين أنهم جميعاً - كجماعة، أو طائفة، أو كذا - مكابرون، فهل إذا قابلت فرداً فرداً يكون هذا التطبيق على مستوى الفرد؟».

- الشيخ[1]: «لا، ما يُطبّقُ على الجماعة لا يطبق على الفرد:

---

(١) (٤٨:٣٢).

نحـن نقـول – مـثلاً – : بعـض الأحـزاب الموجـودة اليـوم علـى الأرض الإسلامية – مع الأسف– لا شك أن نظامها وقانونها كافر، كحـزب البعـث مثلاً، والحزب الشيوعي، وأن من يتبنى هذا النظام ديناً فهو كافر.

لكننا نحن نعرف من حيث الواقع في كثير من البلاد الإسلامية –خاصة سوريا مثلاً –أن كثيراً ممن كانوا ينتمون إلى البعث كانوا يصلون، ويصومون، ويحافظون على الفرائض محافظة كاملة. فإذا ما ذُكِّروا وحُذروا من الإنتماء لمثل هذا الحزب قالوا –وهم مبطلون في قولهم ، ولكننا نفهم أنهم لا يتبنون البعث بديل الإسلام، لأنهم يقولون –: يا أخي ماذا نفعل؟ نريد أن نعيش.

فمَثَل هذا كمَثَلِ أي فاسق آخر؛ يرتكب أمراً محرماً في سبيل العيش، في سبيل تحصيل الرزق، وما أكثر الصنائع والمِهَن والتجارة التي يتعاطاها كثير من المسلمين اليوم؛ وفيها محرمات! فإذا ما ذكّرتَهم وقلتَ لهم: هذا حرام، وهذا حرام. يقول لك: يا أخي ماذا نفعل؟ والصالح منهم يقول لك: والله أفكر أنه ليس لي شيء؛ عمل آخر يكون مشروعاً، لريثما يتيسر لي أستمر فيما أنا فيه. وهكذا. هذا كله يدل أن هؤلاء لا يجوز تكفيرهم كما نكفر النظام ومن يتبنى النظام عقيدة.

لذلك؛ فقد يوجد أفراد في مثل هذه الأحزاب هم فعلاً كفار؛ لأنهم تبنوا نظامهم بديل الإسلام.

ويوجد فيهم أفراد؛ هم ليسوا كذلك، وإنما كما ضربتُ مثلاً آنفاً أنه يتخـذ ذلـك وسيلة للعيش، لا أعني أن هذه وسيلة جائزة، لكن أعني أنه ما دام أنه لا يتبناه عقيدة ونظاماً وفكراً فلا يجوز أن يعامل كما يعامل النظام نفسه ومن يتبناه عن عقيدة».



- يسأل[١] الشيخَ سائل: «هل صحيح؛ أنكم تنظرون لدعوة الإخوان المسلمين نظرة عداء، وأنكم تكثرون دائماً من تجريح ونقد مؤسس هذه الجماعة: البنا - رحمه الله - والأستاذ سيد قطب رحمه الله؟».

- يجيب الشيخ[٢]: «إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد: فإني أحمد الله تبارك وتعالى أننا دعاة جمع، ولسنا دعاة فُرقة. وموقفنا صريح بالنسبة لجماعة الإخوان المسلمين منذ زمن قديم؛ منذ أن كانت للإخوان المسلمين حريتهم في سوريا، وكان لهم مقرهم في عديد من المواطن، كنت أنا معهم في اجتماعاتهم وأسفارهم ورحلاتهم؛ كأني واحد منهم. وكان من آثار ذلك - والفضل إلى الله عزوجل وحده - أن كثيراً من إخواننا؛ الإخوان المسلمين تلقوا الدعوة السلفية بكل فرح وسرور. ولسنا بحاجة إلى أن نضرب أمثلة كثيرة على هذه الثمرة التي اقتطفناها من تلك الصحبة؛ من صحبتنا للإخوان المسلمين - كما قلنا - في رحلاتهم وأسفارهم، فحسبنا مثالاً ؛ رجلان مشهوران في العالم الإسلامي كله، وليس فقط في صفوف الإخوان المسلمين؛ فأحدهما أخونا الأستاذ عصام عطّار، والآخر أخونا زهير شاويش. هذا من جهة.

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر / الشيخ محمد ناصر الدين الألباني / متفرقات للألباني» (الشريط رقم: ١٤٥) : (٠٢:٣٠).

(٢) (٠٣:٠٢).

ومن جهة أخرى - بعد أن قضى الله عزوجل وقدّر أن تُحَلَّ هذه الجماعات كلها بسبب الحكم الفاسق الفاجر هناك، واستمررنا نحن في دعوتنا إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، ولو أننا مُنعنا مرات كثيرة، ثم كنا نحاول ونحتال حتى تعود المياه إلى مجاريها فنتابع دروسنا. والشاهد من هذا - أنني لا أكون مبالغاً إن قلت: إن أكثر الذين كانوا يحضرون حلقاتنا ودروسنا هناك لا أقول في دمشق وحدها؛ بل أيضاً في حلب، واللاذقية، وإدلب، وغيرها من البلاد؛ كانوا من الإخوان المسلمين.

ولذلك؛ فمن الناحية الواقعية يستحيل على إنسان يعيش في صفوف هؤلاء؛ يتردد عليهم حينما كان لهم المجال لإقامة حفلاتهم -ثم تنعكس القضية؛ فيترددون علينا حينما كنا نحن نتعاطى حريتنا في الدعوة إلى الكتاب والسنة، على اعتبار أن دعوتنا ليست دعوة سياسية. فهذا التبادل والتصاحب من الأدلة البادية الواضحة أنه يستحيل على مثل هذا الإنسان - أن يكون عدواً للإخوان المسلمين.

ثم شيء آخر: كيف يُتصور هذا! وكانت لي بعض الصِّلات الكتابية التحريرية مع الأستاذ الشيخ حسن البنا رحمه الله.

ولعل بعضكم؛ يعض الحاضرين منكم يذكر أنه حينما كانت مجلة الإخوان المسلمين تَصْدُر في القاهرة - وهي التي تَصْدُر طبعاً عن جماعة الإخوان المسلمين - كان الأستاذ سيد سابق بدأ ينشر مقالات له في «فقه السنة»؛ هذه المقالات التي أصبحت بعد ذلك كتاباً ينتفع به المسلمون الذين يتبنون نهجنا من السير في الفقه الإسلامي على الكتاب والسنة.

هذه المقالات التي صارت فيها بعد كتابَ «فقه السنة» لسيد سابق كنت بدأت في الإطلاع عليها وهي لما تُجمع في مكان خاص، وبدت لي بعض الملاحظات، فكتبت إلى المجلة هذه الملاحظات، وطلبت منهم أن ينشروها؛ فتفضلوا.

وليس هذا فقط، بل جاءني كتاب تشجيع من الشيخ حسن البنا رحمه الله، وكم أنا آسف أن هذا الكتاب، ضاع مني، ولا أدري أين بقي.

ثم؛ نحن دائماً نتحدث بالنسبة لحسن البنا رحمه الله؛ فأقول - أمام إخواني؛ إخواننا السلفيين، وأمام جميع المسلمين - :

لو لم يكن للشيخ حسن البنا رحمه الله من الفضل على الشباب المسلم سوى أنه أخرجهم من دور الملاهي؛ السينمات ونحو ذلك والمقاهي، وكتّلهم وجمعهم على دعوة واحدة؛ ألا وهي دعوة الإسلام، لو لم يكن له من الفضل إلا هذا لكفاه فضلاً وشرفاً. هذا نقوله معتقدين، لا مُرائين، ولا مداهنين.

ولكننا في الوقت نفسه نرى بعض المنتسبين إلى جماعة الإخوان المسلمين - ولا أقول: كلهم - يشذّون عن دعوة حسن البنا نفسِه ونفسِها، ذلك لأني أعتقد أيضاً أن من فضل حسن البنا أن دعوته - كما صرح في بعض كتبه ورسائله - قائمة أيضاً على الكتاب والسنة، وإن كنت أعتقد أن هذا أصل وأُسّ وضعه، ولكن لم يقم أحد من الإخوان المسلمين أنفسِهم لتبسيط وتفصيل هذا الأصل الذي وضعه حسن البنا رحمه الله.

فأقول: إن حسن البنا خدم الدعوة السلفية بهذا الأصل الذي وضعه، لأن كل رجل؛ كل شاب من الإخوان المسلمين قرأ هذه الدعوة، فحينما يسمع شيئاً من

تفاصيلها من رجل قد لا ينتمي حزبياً إلى جماعة الإخوان المسلمين فحسبه أنه يجمعه معهم هذه الأخوة العامة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.

فنجد دون سائر الأحزاب الإسلامية الأخرى في الشباب المسلم؛ من الإخوان المسلمين تجاوباً مع الدعوة السلفية، لأنني في الواقع – وقد قلت هذا قريباً لبعض الناس، متعجباً من معاداة هؤلاء الناس، أو بعضهم لنا ولدعوتنا – أتعجب فأقول: سبحان الله! لقد سخرني الله عزوجل لأقوم بخدمة الدعوة التي وضع أُسَّها وأصلَها حسن البنا نفسه، فقمت أنا بخدمتها من حيث تفصيل بعض النواحي منها، وإلا فالتفصيل التامّ الشامل – في اعتقادي – لا يستطيع أن يقوم به إلا جماعة كثيرة من أهل العلم والتخصص في علوم الكتاب والسنة، ومن مختلف البلاد الإسلامية. فأستغرب حينما نجد مشاكسة ومعاكسة من بعض الأفراد؛ ممن ينتمون إلى الإخوان المسلمين.

وأنا رجل اعتدت المصارحة، ولا أعرف – إن شاء الله – للمداهنة معنى، لقد كنت أعيش في دمشق طيلة هذه المدة وليس هناك هذه الإشاعات التي نسمعها وأنا في هذه البلاد في الأُردن، وفي عَمّان بصورة خاصة.

فعشنا مع الإخوان المسلمين حينما كان لهم وجودهم العلني، وبعد ذلك أيضاً – كما ذكرنا لكم – وهم يترددون على دروسنا، ويحضرون مصلانا في العيد، وهكذا، حتى جئت هذه البلاد، أو بمعنى أدق: بدأت أتردد على هذه البلاد قبل أن أستوطنها منذ نحو عشر سنين تقريباً. بدأت أتردد – أيضاً – في سبيل نقل الدعوة إلى هذه البلاد بشيء من التوضيح والبيان، كما جرينا على ذلك في البلاد السورية،

وبدأنا نجد آذاناً صاغية أيضاً من كثير من الشباب؛ شباب الإخوان المسلمين، حتى وصل الأمر ببعض مراكزهم - وبصورة خاصة : في الزرقة - أن فتحوا لي مقرهم، ورحبوا بي بإلقائي محاضرات فيهم، وقد فعلت فعلاً، ولم يمض زمن طويل إلا بدأ الشباب؛ شباب الإخوان يتجاوبون مع الدعوة بصورة ليست غريبة عندي، لأني لمست مثلها هناك في سوريا.

ولكن؛ وجدنا بعد ذلك موقفاً غريباً وعجيباً جداً:

أولاً: من حيث أننا مسلمون جميعاً.

وثانياً: من حيث أنهم قلبوا لنا ظهر المجن؛ فبينما كانوا يدعوننا لإلقاء المحاضرات هناك، وإذا بهم يصدون أفرادهم عنا صدوداً، إلى درجة أن وقعت بعض الحوادث الغريبة والغريبة جداً، وبخاصة في صفوف - أو في دائرة - الإخوان المسلمين التي إن كنا نحن نأخذ عليها شيئاً فهو الذي نصرح به دائماً وأبداً أنهم يقنعون بتجميع المسلمين وتوحيد كلمتهم على إسلام دون أن يدخلوا في التفاصيل؛ حتى فيما يتعلق بالعقيدة، حتى في بعض الجوانب التي لا يجوز السكوت عنها.

فكنتُ - لما صُدمت تلك الصدمة - أتساءل: أين الدعوة العامة التي أعلنها حسن البنا رحمه الله بقوله: «إن دعوتنا سلفية صوفية»!، وإن كان هو فسر هذا تفسيراً لا يتنافى بادي الرأي مع الدعوة السلفية، لكن من حيث واقع جماعة المسلمين فبِلا شك فيهم السلفي، والمذهبي، والصوفي، هكذا قامت دعوتهم، وعلى هذا الأساس تكتلوا.

فعجبت من هذه المفاجأة؛ حينما أرسلوا إلى بعض إخوانهم من الذين مضت عليهم سنين طويلة في صفوف جماعة الإخوان هنا، أرسلوا إليهم يذكّرونهم ويطلبون منهم بأن يمتنعوا من التردد على دروس الشيخ الألباني.

وجرى نقاش طويل بينهم وبين الأخوين المشار إليهما، وكما هي أصولهم وعادتهم أنهم يمَهلون الفرد منهم كإنذار؛ أنه إن استمر على ما يرونه مخالفاً لخطتهم أن يجمدوه ثم يفصلوه، وهكذا كان الأمر؛ فأرسلوا ورائهما، وناقشوهما في القضية من جديد؛ قالا:

يا جماعة! ما ندري هذا الموقف من الشيخ لماذا؟!

الشيخ يصرح بأنه لا يدعو إلى التكتل، ولا إلى التحزب، كل ما فيه هو أنه عنده بعض المعلومات - كما يقول هو - يريد أن ينشرها إلى الناس، ولا فرق عنده بين إخواني وبين غير إخواني، بين صوفي وبين سلفي، فالدعوة للناس جميعاً، فلماذا هذا الإصرار بأن تفصلونا وتبعدونا عن حضور حلقات الرجل؟! ونحن مضى علينا سنتان أو ثلاث سنين وقد شعرنا بالفرق بين ما كنا عليه من الجهل بالإسلام الصحيح وما نحن عليه الآن من المعرفة، فلماذا هذه المعاداة؟!

كان جوابهم - أيضاً - جواباً عجيباً؛ قالوا:

لا يجوز الجمع بين ولائين! فالولاء إما للدعوة - يعني دعوة الإخوان - وإما للشيخ.

فأجابا:

إن الشيخ لا يدعو إلى التكتل والتحزب، بل هو يكمل (حركتكم)[١]، ويوضح بعض المسائل التي أنتم منصرفون عنها لنظامكم القائم.

فكانت النتيجة أن فُصِلا نهائياً.

ثم بدأت بعد ذلك أمور تَجِدُّ: إشاعات وأكاذيب عجيبة وعجيبة جداً، تبعها قرار صريح صدر من الجماعة هنا، ووُجِّه إلى كل أفراد الإخوان المسلمين ؛ بأنه: «لا يجوز لهم أن يحضروا حلقات الشيخ الألباني»! فزدنا تعجباً.

ومع ذلك؛ فأنا أعرف أن طبيعة شباب الإخوان لا يمكنهم أن يتجاوبوا مع مثل هذا القرار - وقد سميته فعلاً : قراراً جائراً - لأن الإخوان متعطشون إلى معرفة الكتاب والسنة، وهكذا كان الأمر.

فعلى الرغم من صدور هذا القرار الصريح إلى درجة أن بعض كبارهم ورؤوسهم ممن كانوا يترددون علي وينقلون فينوط - كما يقولون اليوم - ؛ كلَّ جواب سؤال يوجه إلي ليتفقهوا في دينهم؛ أصبحوا يعفوننا، وربما إذا التقينا في الطريق أعرضوا عنا. وهكذا، بسبب هذا القرار الجائر.

ولما قيل لبعضهم: كيف هذا يا شيخ؟! أنت نعرفك رجلاً مسلماً متخلقاً ودارساً الفقه الإسلامي! كيف تعاملون الشيخ هكذا؟!

كان الجواب: هذا قرار القيادة، ويجب أن نخضع لها، وعلى كل حال هذه لها مدة.

---

(١) يقول: «حركتكم»، أو: «حركته». غير واضحة عندي.

وفعلاً؛ هذا القرار كما أنا اعتقدت لم يُنَفَّذ، وبدأ بعض هؤلاء؛ رؤوس الإخوان يترددون علينا كما كانوا من قبل.

ومن هذه الأكاذيب الكثيرة والكثيرة جداً؛ هو أننا نضلِّل، أو نكفِّر حسن البنا، وسيد قطب.

بالنسبة لحسن البنا: ليس عندي مثل هذا الكلام، ولو أنه فُهِم فهماً خطأً.

أما بالنسبة لسيد قطب: فقريباً اجتمعت مع أحدهم؛ من رؤوسهم من بعد ما زال مفعول ذلك القرار، زارني، جاء إلى هنا، وانتظرني ساعات، ثم لما لم يجدني قد رجعت جاء إلى دار صهري فوجدني هناك، فجلسنا ساعة أو أكثر، فجرى بحث ونقاش، وعتبت عليه على ذلك الموقف السابق، وإذا به لأول مرة يكشفون لي عن السبب الذي حملهم على إصدار ذلك القرار الجائر؛ يقول: أنت كفّرت سيد قطب!

قلت: سبحانك هذا بهتان عظيم! يا شيخ فلان؛ يا دكتور فلان! هل أنت سمعت مني هذا الكلام؟!

قال: لا.

قلت: طيب، فأين تأدبكم للآداب الإسلامية؟!

أين أنتم وقول الله عزوجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾؟!

أين أنتم من قول الرسول الكريم: «كفى المرءَ كذباً أن يُحَدِّث بكل ما سمع»؟!

لا سيما المسألة:

أولاً: خطأ كبير مني أن أكفِّر رجلاً مسلماً أقل ما يقال، فكيف وهو داعية!

ثانياً: بالنسبة إليكم؛ تُلصقون بي هذه التهمة وأنا متردد - كنت سابقاً - عليكم، ثم جئت بلدكم، وسكنت بين ظهرانيكم! هلّا أرسلتم أحداً يتثبت من هذا الذي وصلكم؟!

أنا أقول لك - يا فلان - : نحن لا نكفِّر من هم في الحقيقة يستحقون التكفير لخروجهم عن دائرة الإسلام بسبب عقائد فاسدة؛ إلا بعد إقامة الحجة. هذا من عقيدتنا.

من عقيدتنا أن المسلم قد يقع في الكفر، لكننا لا نقول: إنه كافر. لأن تكفير المسلم أمر خطير جداً.

ومن الحيطة التي وقع فيها علماؤنا الفقهاء أن وصل بعضهم إلى أن قال: لو كان عندنا مئة قول في مسألة؛ تسعة وتسعون من هذه الأقوال تكفِّر من وقع في هذه المسألة، وقول واحد فقط لا يكفّر، نحن نأخذ بهذا القول احتياطاً لديننا. لما هو معلوم من الوعيد الشديد في الأحاديث الصحيحة من مثل قوله عليه الصلاة والسلام: من كفّر مسلماً فقد كَفَرَ.

فنحن لا نكفر من نعيش معهم ونسمع منهم وحدة الوجود، فكيف نكفر إنساناً زل به لسانه، أو زل به قلمه؟! لكننا لا نحابي في دين الله أحداً؛ نقول: هذا الكلام كفرٌ.

فلا تلازم عندنا في عقيدتنا أولاً، ثم من الناحية العلمية ثانياً؛ بين أن يتكلم الإنسان بكلمة الكفر، وبين الحكم عليه بأنه كفَر وارتد عن دينه.

وعندنا أمثلة كثيرة من حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته الشريفة مع أصحابه؛ فهناك مثلاً: الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطب يوماً في الصحابة فقام رجل ليقول له: ما شاء الله وشئت يا رسول الله. فقال له عليه الصلاة والسلام: أجعلتني لله نداً! قل ما شاء الله وحده.

«أجعلتني لله ندا»؛ أظن أن أمثال هؤلاء الناس الذين يسمعون حينما نقول: هذا الكلامُ كفرٌ - يستلزمون أن الرسول عليه الصلاة والسلام كفَّر ذلك الرجل، والواقع أنه مازاد على أن نبَّهه؛ وقال له: «أجعلتني لله نداً! قل ما شاء الله وحده»، بَيّن له الخطأ، وأتبعه ببيان الصواب، وذلك هو طريق كل داعية مسلم يفهم حقيقة دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وقلت للرجل: هذا؛ نحن موقفنا.

قال: طيب، ماذا قال سيد قطب؟

قلنا: هات تفسير في ظلال. فجئنا بمجلدين؛ أحدهما في تفسير سورة الحديد - أظن -، والآخر في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقرأ أحد الجالسين، فهناك - لابد أنكم على اطلاع مما قال - ظاهر كلامه تماماً أنه لا وجود إلا وجود الحق. وهذا هو عين القائلين بوحدة الوجود؛ كل ما تراه بعينك فهو الله، وهذه المخلوقات التي يسميها أهل الظاهر هي مخلوقات ليست شيئاً غير الله. وعلى هذا تأتي بعض الروايات التي تفصّل هذه الضلالة الكبرى مما يُروى عن بعض الصوفيين

القدامى؛ مَن كان يقول: سبحاني سبحاني ما أعظم شاني. والآخر الذي كان يقول: ما في الجبة إلا الله.

هذا الكلام كله - في هذين الموطنين من التفسير - فأنا أقول: لعل سيد قطب رحمه الله قرأ شيئاً من هذه الصوفيات فتأثر بها وهو رجل أديب، فسَبَكها في التفسير، فخرج منه هذا الكلام، لأنه في الواقع؛ في مواطن أخرى - كجمهور المسلمين؛ أهل السنة والعقيدة الصحيحة - يقول بالفَرْق بين الخالق والمخلوق على خلاف عقيدة وحدة الوجود.

فأنا قلت للرجل: هذا الكلام - أخي - كُفرٌ، ولا يجوز إقراره، وإبقائه. وأنا في اعتقادي - والدين النصيحة - أن هذا الكتاب إذا طُبع من الجماعة أنفسهم؛ الإخوان المسلمين؛ فمن الواجب عليهم - لا أقول أن يغيروا العبارة نفسها، وإنما - أن يعلقوا عليها، بحيث أنه ما يتورط بها بعض من لا علم عنده بالعقيدة الإسلامية الصحيحة. أما السكوت عليها؛ فلا يجوز كما هو معروف في علم الفقه.

الخلاصة؛ بحث الرجل، وقدّم وأخّر، فلم يستطع أن يجد لتلك الجُمَل معنى إلا هذا المعنى الظاهر. لكن انتقل إلى مواطن أخرى معروفة يُصَرِّح فيها أن هناك خالقاً ومخلوقاً، والمخلوق غير الخالق. وهذه الأشياء - الحمد لله - من فطرة المسلمين جميعاً.

فالشاهد؛ أقاموا ذلك القرار الجائر على مجرد كلمة بلغتْهم؛ أقل ما يقال فيها: ما يقال منذ القديم: وما آفة الأخبار إلا رُواتها.

وأخيراً؛ لما استقررت هنا بدأت إشاعات عجيبة وغريبة جداً، وما ندري من أين تصدر في الواقع! لكن - مع الأسف - نظن أن بعض المتحمسين من أفراد الإخـوان المسلمين هم الذين يشيعون هذه الكلمات.

كل هذه الأشياء؛ إشاعات لا أقيم لها وزناً بالمقدار الذي فوجئت به من مجلتكم: «المجتمع»؛ التي كانت تصدر، ولا تزال، وكانت تُتحفنا بأن ترسل إلينا؛ ما أستطيع أن أقول أحياناً - لأنها كانت تأتيني أحياناً - ؛ عامّاً بـصورة مطـردة، ولكـن هنـاك تُسْرق، أو يمنعون دخولها، أو لأي سبب. ففـي الوقـت الـذي كانـت المجلـة كأنـه يوجد هناك ارتباط معنوي روحي قائم بيني وبينها - يدلني على ذلك أنها تُقَدِّم إلينا هدية بصورة متتابعة - فإذا بنا نُفاجأ بمناقشة أجروها بين أخ لنا من «أنصار الـسنة» في السودان، يمكن اسمُه عبد القادر حسن، وإذا بهذه المجلة تصطِّر ما نسمعه هنا من أن الشيخ الألباني ضد الإخوان المسلمين، ولعلهم - حتى ما أُخطـأ - أيـضاً ذكـروا أني أكفِّر أو أضلِّل، أو ما شابه ذلك من الكلمات.

قلت: سبحان الله! كنا نعيش في أخبار غير مـسجلة، فـإذا بهـا تُـسجَّلُ وفي مجلـة سائرة.

أقول - خلاصة ما تقدم، وباختصار - : أنا لا أعـادي الإخـوان المـسلمين، بـل أعتبرهم أنهم الموطِّدون للدعوة السلفية، والمهيئون للأفـراد ليتقبلـوا هـذه الـدعوة، وأنا؛ هذا ألمسته في طيلة حياتي هذه التي لا تقل عن خمسين سنة في الدعوة. أنا أعرف هذه الحقيقة.

لكني آخذ عليهم كجماعة شيئاً، وآخذ على بعض الأفراد - أو كثير من الأفراد - أشياء أخرى. وهؤلاء الأفراد يختلفون بين سوريا وبين الأردن.

فآخذ عليهم - مثلاً - أنهم لا يهتمون بتركيز العقيدة الصحيحة في أفراد الإخوان المسلمين، بل زيادة على ذلك؛ لا يلقنونهم الأصول التي ينبغي أن يرجع إليها هؤلاء الشباب ليزول الخلاف الموجود واقعياً بينهم من سلفي، ومذهبي، وصوفي.

وأنا أعتقد أن الوحدة التي يَنشدونها لا يمكن أن تقوم لها قائمة في دائرة الإخوان المسلمين - على الأقل - وفيهم هذه الخلافات الجذرية الأصلية، على خلاف ما يتظاهر بعضهم من المتعصبة للمذاهب؛ يقولون: إن الخلاف في الفروع وليس في الأصول. ولست الآن في هذا الصدد.

فأنا آخذ على الإخوان كجماعة بعض الأشياء، وآخذ على بعض الأفراد منهم أشياء أخرى.

فالجماعة؛ أنا أعتقد - وقد مضى عليهم نصف قرن من الزمان، أو أكثر - أنه يجب عليهم أن يلتفتوا إلى تصحيح مفاهيم أفراد الإخوان المسلمين، وخاصة ما كان منها في العقيدة. وهذا يكون الخطوة الأولى في سبيل التوحيد بين أفراد الإخوان المسلمين أولاً، ثم التوحيد بينهم وبين عامة المسلمين ثانياً.

بالإضافة إلى هذا؛ لا بد أن يَخُطُّوا الخطةَ التي خطها - أقول - حسن البنا رحمه الله حينما وافق على النهج الذي سلكه صديقنا السيد سابق في تأليفه لكتاب «فقه

السنة». فأنتم تذكرون تقريظ حسن البنا لهذه الخطة التي وضعها السيد سابق جزاه الله خيراً.

فأرى تناقضاً عجيباً جداً في صفوف الإخوان المسلمين.

هذا الكتاب الذي أنا أنصح دائماً وأبداً الشباب - حينما يسألونني لأدلهم على كتاب في الفقه القائم على الكتاب والسنة - أقول: لا أجد لكم خيراً من كتاب «فقه السنة» للسيد سابق، وإن كانت لي ملاحظات على ذلك. لأن الأمر في الواقع كما قال الإمام الشافعي - رحمه الله - : «أبى الله أن يَتِمَّ إلا كتابه».

وأنا لما كتبت نقداً على الجزء الأول والثاني والثالث من «فقه السنة»؛ إشارة إلى أني متعاون معه، ولست نقّاداً له، سميت كتابي: «تمام المنة في التعليق على فقه السنة».

أجد هذا الكتاب الذي أعتقد أنه كان ينبغي أن يكون من منهج الإخوان المسلمين فرض هذا الكتاب على كل فرد ينتمي إليهم كما يفرضون عليهم رسائل حسن البنا رحمه الله. فأجد الأمر على النقيض من ذلك:

أجد - مثلاً - في دمشق الشام بعض السرايا يتدارسون هذا الكتاب، وسرايا أخرى يتدافعونه ويرفضونه عنهم، بحجة هذه الكلمة - التي كنت أتمنى أن تقضي عليها الأرضة؛ السوس يأكلها - وهي أن هذا الرجل وهابي!

أكثر من هذا؛ بعض الأقاليم في الشمال الشرقي من سوريا؛ الجماعة كلها؛ من رئيسها إلى مرؤوسها يرفضون هذا الكتاب بنفس الحجة الواهية المذكورة سابقاً.

لماذا هذا التنافر؟! وكيف أستطيع أن أتصور جماعة الإخوان المسلمين متحابّين متوادّين وفيهم السلفي الذي - في المؤلفات القائمة الآن - لا يرضى بديلاً في الفقه بدل كتاب «فقه السنة» للسيد السابق.

وآخرون يظلون يقرؤون الكتب التي أعتقد أنه يصح أن يطلق عليها: «أكل الدهر عليها وشرب»؛ مراقي الفلاح في الفقه الحنفي، حاشية الباجوري في الشافعي. وفي كل من الكتابين - كما كنت ألمحتُ لك في الإجتماع السابق - كلمات يندى لها الجبين من ذكرها، ولست أنا الآن في صددها. والحُرُّ تكفيه الإشارة كما يقال.

كيف يمكن لأفراد الإخوان المسلمين أن يكونوا فعلاً موحَّدين - كما وُضعت الدعوة من أجل ذلك - وفي أفرادها هذا التنافر البعيد. في البلدة الواحدة في الإقليم الواحد في سوريا المنهج مختلف تماماً في الثقافة الفقهية الإسلامية.

فهنا؛ وجدت أنا إقبالاً على الدعوة السلفية بسبب هذه الحركة التي نحن ندعوا إليها، ولا نخالف من الناحية السياسية أحداً، لأنه كما قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾.

وأنا أقول - وأتمنى أن يقول مثل قولي كل الجماعات الإسلامية - : الإخوان المسلمون؛ لا يستطيعون أن يقوموا بواجب الإسلام وحدهم، السلفيون كذلك، حزب التحرير كذلك، شباب محمد - ما أدري إيش - في الجمعيات الإسلامية الأخرى، هؤلاء جماعات - أعتقد - وجودهم ضروري؛ لأن جماعة واحدة منهم لا تستطيع أن تقوم بكل واجب يفرضه الإسلام على الجماعة الإسلامية، وإنما هذه الجماعات يجب أن تقوم كل منها بواجبها فقط، ولكن بشرط واحد؛ وهو أن يكونوا

جميعاً في دائرة واحدة، متفقين على الأسس والقواعد التي ينبغي أن ينطلقوا منها ليتفاهموا ويتقاربوا.

لا شك؛ أنه لا منافاة فيما يتعلق بالصنائع المادية - مثلاً - بين حداد، وبين نجار، وبين طيّان، وبين، وبين، إلى آخره. ولا يستطيع جماعة الحدادين أن يقوموا بوظيفة النجارين ونحو ذلك. لكن هؤلاء إذا كانوا متنابذين متحاربين لا يستطيعون أن يقيموا بناية ما؛ قصراً ما، إلى آخره.

وأولى وأولى أن يقوموا بهذا القصر المشيد (إقامة الحكم الإسلامي والدولة الإسلامية)؛ أنا على يقين لا السلفيون وحدهم يستطيعون، ولا الإخوان المسلمون وحدهم يستطيعون، ولا، ولا. عدّ ما شئتَ من جماعات وأحزاب، وإنما هذه الجماعات إذا توحدت في دائرة واحدة، وتعاونوا؛ كل منهم في حدود اختصاصه؛ فيومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله.

وعلى ذلك نحن ماضون: لا نعادي طائفة أو جماعة من الجماعات الإسلامية إطلاقاً؛ لأن كل جماعة - كما صرّحتُ آنفاً - تكمِّل النقص الذي يوجد عند الجماعة الأخرى. هكذا - أعتقد - ينبغي أن تكون علاقات الجماعة الإسلامية بعضها مع بعض.

والذي نراه - مع الأسف الشديد - هو خلاف هذا الواجب الذي ينبغي أن تَجتمع الجماعات الإسلامية عليه.

فالإخوان المسلمون - الذين وُجِّه السؤال عن موقفنا منهم - يعاملوننا خلاف ما نعاملهم به.

نحن نُقَدِّر جهودهم كجماعة يَدْعُون إلى تكتل المسلمين واجتماعهم تجاه المصائب والحوادث التي تُلم بالمسلمين. وإن كانوا - كما قلتُ آنفاً - وحدهم لا يكفي أن يقوموا بهذا الواجب؛ لا بد أن تكون معهم الجماعات الأخرى.

فبدل من أن تكمّل كل من الجماعتين (السلفية والإخوانية) الأخرى نجد الإخوان المسلمين - بصورة خاصة أستطيع أن أقول بهذه البلاد الأردنية - هم الذين ينشرون العداء والبغضاء بين السلفيين وبين الإخوان المسلمين. وليت هذا الأمر وقف في حدود الأفراد والأشخاص الذين ليس لهم وزن في الإخوان المسلمين، فكل جماعة - ماذا نقول؟ - ؛ صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام كان فيهم - كما يقول بعض الفقهاء القدامى - الأعرابي البوّال على عقبيه، وفيهم كبار الصحابة كالخلفاء الراشدين وغيرهم، فأولى وأولى أن يكون أمثال ذلك الأعرابي في كل جماعة؛ كانوا سلفيين، أو كانوا الإخوان المسلمين وغيرهم.

فأقول: ليت أن الإشاعات - التي تزيد الفُرقة بين الجماعتين - تنبع من أفراد عاديين من الإخوان المسلمين، إذن لكان الخطب سهلاً، لكن الواقع أن الأمر تعدّى إلى بعض المسؤولين منهم، أو - كما هم يخبرون - بعضِ القياديين منهم.

هم - مثلاً - يتقولون الأقاويل الكثيرة التي سمعتموها واضطرتكم إلى أن توجّهوا مثل ذاك السؤال الصريح. فبعض القياديين منهم كتبوا في بعض مؤلفاتهم ما يُشعر الواقف على هذه الكتابة أن القياديين أنفسهم هم الذين ينظرون إلى السلفيين نظرةَ - ما أقول عدم تقدير، بل - احتقار وازدراء.

لو أن الأمر وقف على ألسنة بعض الأفراد لهان الأمر، فنجد خلاف ما نعتقد - وكبار الإخوان المسلمين يعتقدون أيضاً ما نعتقد - من حيث أهمية الدعوة السلفية وضرورتها لهذا المجتمع الإسلامي، وبخاصة اليوم، وأنه لا يمكن أن تقوم قائمة للجماعات الإسلامية إلا على أساس الكتاب والسنة.

كبار الإخوان المسلمين نعرفهم؛ هم معنا، لكن هنا الواقع خلاف ذلك؛ فتجد مثلاً كتيباً صغيراً، ألّفه أحد دكاترتهم هنا والقياديين منهم، يُسمّى - إيش؟ - : «الدعوة الإسلامية ضرورة اجتماعية»، وكتب اسماً مستعاراً - وهذا في الواقع مما يؤخذ على رجل قيادي في الجماعة، فلماذا يتستّر؟! دعنا من هذا، أمر هامشي - يقول هناك - يتعرّض لحزب التحرير، ويتعرض للسلفيين - : ماذا يوجد عند السلفيين؟! عندهم: أن تحريك الأصبع في التشهد سنة! تعليق الساعة الدقاقة في المسجد بدعة! هذا هو الموجود عند السلفيين!

ومن العجائب - يا إخواننا الحاضرين، وأخانا السائل بصورة خاصة - أن هذا الذي ألف هذه الرسالة - يَعرف كثير من الحاضرين: - كان يجلس كما أنتم جالسون الآن؛ يستمع، بل ويكتب كل ما يسمع، ليستفيد علماً، وهو رجل متواضع فاضل، لكني أعتقد أن منهج الدعوة الذي فُرض عليهم الآن وجّهه إلى أخرى؛ وجّهه على أن لا يأتمر بأمر الله عزوجل، أو لا ينتهي حيث نهاه الله عزوجل في مثل قوله: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾.
فهو يعرف هذه الحقيقة التي كانت تدفعه إلى أن يحضر مجالس الألباني بكل تواضع،

ويكتب كل ما يجيب عليه من أسئلة، وإذا به يقول: إيش عند السلفيين؟! ما عندهم سوى: تحريك الأصبع في التشهد سنة! وتعليق الساعة الدقاقة في المسجد بدعة!

ثم يأبى الله عزوجل إلا أن يُظهر الحقيقة على قلم هذا الكاتب؛ فبعد قليل يقول: «ومن الذي يتعاطى كتب السلفيين وينشرها سوى الشباب المؤمن؟ لولاهم لكسد ولم يُنفق سوق كتب الدعوة السلفية» هو لم يبق عليه غير أن يسمي الشيخ الألباني!

هذا يا أستاذ يدلك على أن الجماعة - فعلاً الآن نحن مؤمنون بهذا، وأرجو أن يصلح ربنا الحال - ينطلقون منطلقاً حزبياً، ليس إسلامياً؛ لأن الإسلام يقول الحق دائماً وأبداً: هذا صواب، وهذا خطأ.

أمّا؛ ننكر جهود جماعة، أو شخص من هذه الجماعة بعينه؛ وأنه ليس عنده إلا أمور- طالما سمعناهم يقولون: إنها: - تافهة! وهذه الأمور تفرق الصف! وتصدَع الكلمة، و، و، إلى آخره.

وأصبحت هذه الأشياء تكتب وتُنشر بين أفراد الإخوان المسلمين، وليس من ناس حياديين. مع ذلك نستمر نحن؛ ماضون في دعوتنا، ولا فرق بيننا وبين المسلمين عامة، سوى أننا نعتقد أن ما ندعوا إليه هو الحق مثلما أنكم تنطقون.

وجرت محاولات كثيرة - ههنا - من أجل اللقاء، ودائماً نحن نمد يدنا اليمنى - بطبيعة الحال - لنتلاقى ونتفاهم، فيأبون اللقاء والإستماع.

آخر شيء جرى؛ ما أظن أكثر من شهر تقريباً:

يمكن تعرف أحد إخواننا الفلسطينيين؛ علي الخشان، شخصياً تعرفه؟ جميل. هذا الرجل هو من الإخوان السلفيين الذين دخلوا في الإخوان المسلمين: ذهب إلى

قطر، أظن أنك تعرف أنه في قطر. أتصور - والله أعلم، لأنه أقيس نفسي هنا - : أنا جئت هنا؛ تحركَ الإخوان ضد الدعوة السلفية حركة عجيبة، أخونا ذهب إلى هناك باعتبار أنه من الإخوان المسلمين؛ أتصور أن الإخوان المسلمين التمّوا حوله، وصاروا يحرّكونه: شيخك الألباني يعمل كذا، ويقول كذا، ويعادي الجماعة، ويُجرّحون، ووقت كلام، ووقت اختلاف، والأمور الخلافية نتركها جانباً. من هذا الكلام.

وراح الرجل؛ تَجاوبَ مع حماس الجماعة، وكتب لي خطاباً طويلاً.

والحقيقة؛ أنا عتبت عليه؛ لأنه لو كان رجلاً عادياً ما يعرفنا وهو عائش معنا ومن كبار إخواننا في دمشق وكيف يعرف: نحن دائماً نتقدم لطلب الإجتماع واللقاء، وهم يأبون. فعجبت كيف أنه تحمس التحمس؛ وعاد يقول: نتناسى الماضي، والوضع الآن في سوريا كذا وكذا، وإلى آخره.

على كل حال؛ كان هو كتب في آخر الخطاب أنه سيأتي إلى عَمّان في طريقه إلى العمرة، وفعلاً جاء، بعد السلام والكلام والتحية والإكرام إلى آخره؛ قلت له: يا شيخ علي ما هذا؟! هل أنت غشيم فينا؟! ما تعرف مواقفنا مع كل الجماعات ليس فقط الإخوان المسلمين؟! وهم يمتنعون! لم هذا؟!

الوضع.

طيب؛ الوضع، تفضل، أنت ما جئت الآن؟! تفضل؛ نحن مستعدون للقاء مع الجماعة.

قال: طيب.

راحَ يوم، يومان، ثلاثة، أربعة، كلما اتصل مع شخص يحوّلونه إلى شخص آخر بدعوى أنه هو الذي يستطيع أن يفعل، أو يؤثر.

أخيراً؛ التقى مع شخص، قال: طيب، آتي لك بالجواب. فجاء الجواب بالرفض.

فماذا نعمل؟ نحن نسعى للّقاء، وهم يأبون.

هذا أحد شيئين:

إما نحن في اعتقادهم غريقون في الضلال، ميؤوس من هدايتهم، يئِسوا من لقاء الشيوعيين أمثالهم. أو ما أدري ماذا أقول غير هذا، أو عكس هذا.

أبَوا علينا هذا.

قبل مجيء الشيخ عليّ بنحو ستة أشهر؛ سبعة أشهر: قلت: لا أزال أتردد كعادتي كل شهر؛ شهرين إلى هنا، فجئت، وإذا بصهر لي يقول: أحد الإخوان المسلمين يريد أن يهيأ لك لقاء مع بعض رؤوسهم على دعوة عشاء. قلت له: حسناً، لكن خلّني ألتقي مع هذا الرجل. والرجل حي يرزق، ولعلكم تعرفونه؛ الدكتور أحمد ترعاني.

الدكتور دَمِث الأخلاق، وأيضاً عنده تجرد وإنصاف، ولا شك أنه من إنصافه دعا هذه الدعوة، أو حاول؛ لأنه ما نجح مع الأسف أيضاً.

فالتقينا به، وفهمت منه غرضه. قلت له: طيب، أنا - إن شاء الله - غداً أو بعد غد مسافر، وسأعود، وقبل عودتي إليكم أحدد لك الأسبوع الذي ممكن أن أكون عندكم؛ كي تهيأ أنت لقاء، وما أظن أنه لديكم مانع من أن يكون معي بعض

إخواني. قال: طيب. ورجعت أنا من دمشق، كنت ناوياً أن أُحضِّر أخانا عيد عباسي. ما أظنك تعرفه شخصياً، هذا سجين مع السجناء، فك الله سجن الجميع.

المهم؛ التقيت مع أخينا هذا وأخ لنا ثان، ووفقنا بين الأوقات، حتى نستطيع أن نبعث هناك الأسبوع الذي ممكن أن نأتيهم. وكذلك بعثنا ورقة لأخينا؛ لصهرنا هنا؛ نبلغ الدكتور أحمد بأنه: نحن سنكون في الأسبوع الفلاني. وفعلاً انتظرنا الجواب، وإذا الجواب به: إن الجماعة رفضوا اللقاء.

أنا - على كل حال - إلى «نظام»[1] جئت حسب راحتي، وحكى لي التفاصيل: الدكتور أحمد؛ لما بلّغ الأشخاص الذين كان يدعوهم بأن الشيخ الألباني يجيء بعد أسابيع ويعين الوقت، لكن يريد أن يأتي بواحد أو اثنين من إخواننا، قالوا: هذه القضية تصير رسمية، ونحن ما نستطيع أن نعقد اجتماعاً رسمياً إلا بإذن من القيادة، لذا نريد أن نشاور. فشاوروا، فجاءهم جواب الرفض.

وهكذا؛ كلما مددنا يداً رفضوا التلاقي والتصافح إطلاقاً، وهكذا نعيش؛ نحن نتقدم إليهم، وهم يتأخرون عنا. ثم مع ذلك - ولا مؤاخذة؛ أقولها صراحة - رمتني بدائها وانسلت.

فنسأل الله أن يحسن ويصلح أحوال المسلمين جميعاً.

هذا ما يحضرني الآن من الكلام جواباً عن ذاك السؤال. وجزاك الله خيراً».

- السائل[2]: «فضيلة الشيخ؛ جزاك الله خيراً».

---

(١) «نظام» : صهر للشيخ، رحمه الله.

(٢) (١٧:٥٦).

- الشيخ: «وإياكم، إن شاء الله».

- السائل: «أنا شاهد؛ وقد عشت مع الإخوان منذ بداية الخمسينات أننا ما كنا نشعر في يوم من الأيام بأنك غريب عنا. ولم نكن نشعر كذلك بأن ما تقدمه من إنتاج علمي مغاير لما نحن عليه. وطوال هذه الفترة التي عشناها في الإخوان - وما زلنا - لا نقبل عقيدة إلا عقيدة السلف الصالح، والمنهج أيضاً منهج السلف، وهذا لا يتعارض مع أصل دعوة الإخوان».

- الشيخ: «صحيح».

- السائل: «وقد فصلتَ ذلك في حديثك، بارك الله فيك».

- الشيخ: «وفيكم».

- السائل: «مع الأسف؛ هذا الموقف الذي تفضّلتَ به من قيادة الإخوان في الأردن يتعارض أصلاً مع الخط الذي سلكه البنا رحمه الله، والذي أشرتَ إليه قبل قليل».

- الشيخ: «نعم».

- السائل: «البنا - رحمه الله - كان على علاقة وثيقة مع رشيد رضا، ومع محب الدين الخطيب، وكان يعتمد عليهم، وكان يَشعر بأن دعوة الإخوان تستفيد إلى العلماء المحققين. والأخطاء لا بد أن تقع في عصره، وفي كل عصر».

- الشيخ: «إي نعم».

- السائل: «والبنا - رحمه الله - قال في البند السادس من رسالة التعاليم ما أكـده الأئمة السابقون بأن كلامه إذا تعارض مع الكتاب والسنة فيجب أن يرمى به عرض الحائط.

فأتعجب من هؤلاء! غفر الله لنا ولهم».

- الشيخ: «آمين».

- السائل: «كيف يدرسون حياة البنا ومنهجه، ثم يلجأون إلى مثل هذه المواقف المؤسفة!

والحقيقة؛ أنني أعلم الجواب الذي تفضلتَ بـه، مـن صـلتك بـالإخوان، ومـن حبك لهم، ومع هذا فلا بد من التجديد، وماذا يضر الإخوانَ لو كان مـنهجُ الـسلف والطريقةُ العلميةُ في التحقيق وفهمِ الأمور هيالأساس في دعوتهم؟!

ولكن بكل أسف دخل إلى الإخوان كثير من أصحاب الهوى ومـن الخـرافيين، وهؤلاء لا تتصور عقولهم أن تعم كتبُ الشيخ ناصر ودعوته في كل مكـان، فلجـأوا إلى مثل إشاعة الأراجيف، وإلى دغدغة عواطف شباب الإخوان ليقولـوا لهـم بـأن الشيخ ناصراً عدو للإخوان».



- رجل من العراق يقول[1] للشيخ: «وصلنا شريط؛ آخر شيء عن كلام لك عن جهاد الأفغان، وفتياك حول جواز الصلاة خلف القبوريين، فاختلف الناس يا شيخ».

- الشيخ: «﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾، هذا نص في القرآن الكريم؛ ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾. فالإختلاف طبيعي جداً، ولا خلاص ولا نجاة منه إلا بالإعتصام بالكتاب والسنة.

ولذلك؛ إن وقع خلاف فيجب على المختلفين أمران اثنان:

الأمر الأول: أن لا يكون الخلاف سبب شقاق واختلاف يؤدي إلى الفُرقة، وإلى التحزب.

والأمر الثاني: أن يرجعوا في ذلك إلى الله ورسوله، كما قال الله عزوجل في القرآن: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾.

وأنا أعتقد أن في كثير من المسائل يقع إفراط وتفريط؛ فكثير من إخواننا المتمسكين بالسنة يرون عدم الصلاة وراء المبتدعة.

ونحن نقول: هؤلاء المبتدعة؛ إما أن يكونوا عندنا - في حكمنا الذي ظهر لنا عليهم - كفاراً، أو أن يكونوا مسلمين:

فإن كانوا كفاراً؛ فلا تصح الصلاة خلفهم إجماعاً.

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ٣٣٧): (٤٧:١٥).

وإن كانوا مسلمين؛ فالصلاة خلفهم صحيحة، ولو كانوا من المبتدعة، أو كانوا ضالين في بعض المسائل التي خرجوا فيها عن السنة.

وعندنا حديث في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في حق الأئمة - يصلون بكم؛ فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم.

وحديث آخر في صحيح البخاري أيضاً؛ أن رجلاً من الوُلاة في بعض البلاد - وأظنها المدينة - في زمن الأمويين، واسمه عقبة بن الوليد - فيما أذكر - ؛ صلى بالناس صلاة الفجر يوماً أربع ركعات؛ لأنه كان سكراناً؛ شارباً للخمر، فهو لا يدري ماذا يصلي، ومن ضلاله حينما سلم من الصلاة قال لهم: أزيدكم؟ هو صلى الفجر أربعاً، مع ذلك قال: أزيدكم؟

وما نُقل إلينا - والحديث في صحيح البخاري؛ الذي يروي الأحاديث كما جاءت بحذافيرها تماماً - أن أولئك السلف أعادوا الصلاة التي صلاها بهم أربعاً. لماذا؟ للحديث الأول: يصلون بكم فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم.

هذا من جهة. من جهة أخرى: هؤلاء المبتدعة لا نشك أن الكثير منهم أرادوا الصواب فأخطأوه، ولذلك؛ فواجبنا نحن أن نحاول إرشادهم، وهدايتهم، وليس أن نتخذهم خصوماً وأعداءً لنا.

والمناط في هذه المسألة هو: ما ذكرتُه آنفاً: ما داموا مسلمين فلهم ما لنا، وعليهم ما علينا، وإذا خرجوا عن دائرة الإسلام، وصاروا كفاراً - كالذين يقولون بوحدة الوجود مثلاً - فهؤلاء لا تصح الصلاة خلفهم، لكن هؤلاء لا يقال: إنهم مبتدعة.

المبتدعة مثل: الخوارج، المعتزلة، المرجئة. فهؤلاء؛ أئمة الحديث كانوا يروون الأحاديث عنهم، بشرط أن يكونوا صادقين فيما يروون، وحافظين لرواياتهم. وما كفّروهم، ولا أخرجوهم عن دائرة الإسلام، لكن أعطوهم ما يستحقون من الحكم؛ ألا وهو خروجهم عن السنة.

فلذلك؛ نحن لا نتحمس لتحذير الناس من الصلاة خلف المبتدعة، بل كثيراً ما نُسأل - صراحة - : فلان الإمام يتوسل بالأولياء والصالحين، هل نصلي خلفه؟
أقول: نعم، هل خرج بذلك عن دائرة الإسلام؟

وبهذه الطريقة - في اعتقادي - يمكن تقريب وجهات النظر والإختلاف بين المسلمين.

أما إذا حكمنا على من ابتدع بدعة، أو بدعاً في الإسلام بأنهم خرجوا من دائرة الإسلام؛ ازدادت شقة الخلاف بيننا وبين المسلمين، وهذا بلا شك لا يجوز.

هذه وجهة نظرنا بالنسبة للصلاة وراء المبتدعة.

فما أدري إذا كان عندكم شيء من الملاحظات؛ نسمعها ونستفيد منها».

- الرجل: «جزاك الله خيراً يا شيخ».

- الشيخ: «وإياك».

- الرجل: «لأنه؛ حتى الموقف السابق، أو القديم لحضرتك، وهو يصل الحمد لله، وكان موقفاً حادّاً تجاههم، وكان هذا الأمر أصبح أساساً في تربية الشباب عندنا؛ أساساً من الصعب أن ينفكوا عنه».

- الشيخ: «كيف الموقف السابق، ما هو؟».

- الرجل: «شيخ، هو الموقف الحاسم تجاه المبتدعة.

والحق - عندنا - المبتدعة: كل من يَتوسّلُ فهو مبتدع، كل من يستغيث فهو مبتدع. بل يصل الحد إلى أنه: كل من لم يحرك إصبعه في التشهد. موقفاً لا يكاد يكون طيباً في هذا الأمر».

- الشيخ: «إي نعم».

- الرجل: «فأصبح - شيخ - أساساً في موقف الشباب هذا؛ أنه: الحدة تجاه القبوريين، تجاه المتوسلين، يعني حدة تامة.

لأنه عندنا - يا شيخ - القبوريون - بصراحة - أمرهم واضح وجليّ، واستغاثتهم بغير الله واضحة، ولا يخفيها منهم أحدٌ، بل ويعادون أهل السنة بها، بل - حتى - ويمكرون بأهل السنة أحياناً، كما هو موجود الآن، وتسبب هذا في مشاكل.

فعندما سمعوا هذه الفتوى: - الحقيقة - منهم مَن بقي يلتفت يميناً وشمالاً، إلا أنه - الحمد لله - موقف أهل العلم عندنا كان واضحاً، وفهموا مرادك، شيخ. فالحمد لله وضّحوا الأمور».

- الشيخ: «على كل حال - بارك الله فيك - هذا الذي تذكره بالنسبة لبلدكم؛ البلاء عام؛ في كل بلاد الدنيا هكذا:

يعني؛ أهل البدعة يخاصمون أهل السنة، وينبزونهم بكثير من الألقاب السيئة، ولا يكتفون بذلك بل يتقولون عليهم الأقاويل، ويفترون عليهم الأكاذيب.

في سوريا هكذا كنا. وهنا لا نعدم أن نجد - أيضاً - من يرمي أتباع السنة، أو السلفيين بما ليس فيهم.

لكن الذي أريد أن أقوله بالنسبة لإخواننا في الغيب - الذين يعيشون في العراق، أو في غيرها من البلاد - : هؤلاء لم يتصلوا مع الألباني كثيراً؛ لا شخصياً، ولا علمياً، وإنما[1] التقطوا منه بعض الفتاوى، أو بعض التسجيلات، أو قرأوا له بعض الكتب والرسائل والمجلدات، لكن ما أخذوا عنه المنهج السلفي العام، فإذا ما سمعوا مثل هذه الفتوى ظنوها شيئاً جديداً.

أنا أفتي بهذا منذ كنت في سوريا والعداء على أشده بيننا وبين أهل البدع.

ثم إذا كانوا هم يعادوننا ولا يحاولون الإقتراب منا - والإسلام يجمعنا جميعاً - فلا ينبغي أن نكون مثلهم، بل ينبغي علينا أن نكون خيراً منهم؛ فنحن دعاة هدى، ودعاة إلى الخير؛ ندعوهم؛ فمن استجاب فبها ونعمت، ومن أبى، فإذا كان الله عزوجل يقول لنبيه : ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾.

ولذلك؛ فأنا في كثير من محاضراتي وكلماتي أقول:

---

(١) من هنا ينتقل الكلام إلى (الشريط رقم: ٣٣٨).

هؤلاء المبتدعة، أو هؤلاء الضالون: هم بحاجة أن نشفق عليهم، وأن نرحمهم أكثر مما أن نعاديهم وننتقم منهم؛ ذلك لأنهم مرضى؛ مرضاً روحياً، إذا صح هذا التعبير.

فالخلاصة: أن هذا ليس شيئاً جديداً. أخونا هذا - كما ترون - يسجّل ما قلّ وكثر من كلماتي، فعنده أشرطة عديدة جداً؛ تدندن كلها حول الإشفاق على هؤلاء المبتدعة، وعلى أن الصلاة خلفهم جائزة بالشرط الذي ذكرتُه آنفاً: ما داموا في دائرة الإسلام، أما إذا خرجوا عنها فإلى جهنم وبئس المصير.

هذا رأينا ليس حديثاً أبداً، لكن قد يكون حديثاً بالنسبة لمن بَلَغه حديثاً».



- يقول الشيخ[١]: «الإنسان إذا تكلم بجهل فلا يقف أمام جهله شيء. وهذا الكلام من هذا القبيل.

الخلاصة: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾، هذا هو المقصود، و ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾ ، ورسول الله خوطب بقوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾.

فالأنبياء كلهم بدأوا بدعوة التوحيد.

وأنا أقول: نوح - عليه السلام، الذي لبث في قومه بنص القرآن: ﴿أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾ - ماذا فعل في ألف سنة؟».

- يجيب رجل يكنى بأبي طلحة: «يدعو إلى التوحيد».

- الشيخ: «فقط.

هؤلاء؛ هذا الكلام؛ لو كانوا يعرفون ما يتكلمون به لكفروا، وخرجوا عن الملة، لأنهم يخطِّأون الأنبياء بعامة، ونوحاً - عليه السلام - بخاصة، لأنه تميز على سائر الأنبياء بأن بارك الله - عزوجل - في عمره فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً.

نحن نعلم أن الشرائع التي تقدمت شريعة الإسلام لم يكن فيها هذا الفقه الواسع الذي يشمل شؤون الحياة كلها، كان فقهاً مبسّطاً، ولذلك فنوح - عليه السلام - حينما أقام هذا العمر الطويل المديد المبارك إنما كان همه: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾.

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٧٨٤) : (٠٣:١٤) : تسجيل سنة: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

هذا الكلام ينافي هذا الكلام. ولذلك فهم جهلة بالمرة، وهم يسلكون الآن سَنَن الإخوان المسلمين الذين يمضي عليهم قرن من الزمان وهم لم يقدموا إلى الإسلام شيئاً سوى الهتافات والصياحات، وهم على نظام عسكري: «مكانك راوح»؛ لا يتقدمون إطلاقاً.

لذلك لا يؤبه لكلام هؤلاء.

وأنا أتعجب من بعض إخواننا طلاب العلم: ما يكادون يسمعون ضلالة من أي جاهل، من أي إنسان إلا يجيء يقول لك: ما رأيك في كذا؟ من يقول هكذا؟ والله رجل كنا في مجلس(!)».

- أبو طلحة: «يا شيخ، المشكلة: أن هؤلاء يتبعهم كثير جداً، يقولون مثل هذا الكلام، كهذا الجزائري الذي قال: (..)[١] إنه لو كان في عصرنا هذا لكان كذا وكذا[٢].

---

(١) يقول كلمات غير واضحة عندي.

(٢) يقصد رئيس الإخوان المسلمين في الجزائر الذي قال: «لو كان الرسول - عليه السلام - اليوم؛ في هذا العصر، للبس الجاكيت والبنطلون وعقد الكرافيت» ذكر عنه هذا القول من قبلُ الشيخُ الألباني، في : (٠٢:٥١).

فهذا الذي قال هذا الكلام[١] داعية معروف جداً، ويتبعه كثير جداً، حتى بعض الأتباع إذا قلت له: «فلان أخطأ» هو مستعد أن تقول له: «عمر أخطأ، الشافعي أخطأ» أما «فلان»؛ يقيم عليك الدنيا ولا يقعدها».

- الشيخ: «طيب، ماذا نفعل لهم يا أخي؟

ما علينا إلا أن ندعو بالتي هي أحسن.

العلم نور، هؤلاء يقعون في هذه الضلالات بسبب جهلهم بالإسلام.

ولذلك؛ ما علينا إلا أن نُشفق عليهم، ونعتبرهم مرضى، ونعالجهم بما نستطيع من الحكمة والموعظة الحسنة».

ثم يقول الشيخ[٢]: «لماذا تهتم بهؤلاء؟!

هؤلاء كثُر، غلبوا الدنيا كلها. الباطل هكذا.

ما المناسبة هنا من الآيات؟

﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾، خذ - يا أخي - موعظة وعبرة من مواساة رب العالمين لنبيه الكريم بمثل هذا الكلام.

مع أن أولاء كفار، وضُلّال، ومشركون.

---

(١) وهو - كما نقله أبو طلحة من قبل في: (٠١:٢٦) -: «لو كان الأنبياء أو المصلحون إلى يوم القيامة يحاربون من ألوان الشرك المناقض لكلمة لا إله إلا الله؛ ما يتعلق بالأوضاع الشعبية فقط لما تعرض لهم أحد، ولما وقف في وجوههم إلا القليل».

(٢) (٠٩:٠٤).

هؤلاء وإن كانوا ضُلّالاً، لكن على كل حال ما يخرجون عن دائرة الإسلام والمسلمين.

ولذلك فأنا أتعجب: كلما رأى أحد شخصاً أو أشخاصاً؛ كانوا يزعمون أنهم من السلفيين، ثم انحرفوا - يقولون: فيه كذا، وكذا، وكذا(!)».

ثم يقول الشيخ[١]: «أنظر يا أخي: أنا أنصحك - أنت والشباب الآخرين الذين يقفون في خط منحرف فيما يبدو لنا، والله أعلم - أن لا تضيِّعوا أوقاتكم في نقد بعضكم بعضاً، وتقولوا: فلان قال كذا. وفلان قال كذا. وفلان قال كذا. لإنه:

أولاً: هذا ليس من العلم في شيء.

ثانياً: هذا الأسلوب يوغر الصدور، ويحقق الأحقاد والبغضاء في القلوب.

إنما عليكم بالعلم؛ فالعلم هو الذي سيكشف: هل هذا الكلام في مدح زيد من الناس - لأن له أخطاء كثيرة - هو مثلاً يحق لنا أن نسميه بأنه صاحب بدعة، وبالتالي هل هو مبتدع؟[٢].

ما لنا ولهذه التعمقات؟!

أنا أنصح بأن لا تتعمقوا هذا التعمّق؛ لأنه - الحقيقة - نشكوا الآن: هذه الفرقة التي طرأت على المنتسبين لدعوة الكتاب والسنة، أو - كما نقول نحن: - للدعوة السلفية.

---

(١) (١٥:١٥).

(٢) يقصد: بالعلم نعرف: هل يحق لنا أن نبدع شخصاً بسبب مدحه لمن له أخطاء كثيرة؟

هذه الفرقة - والله أعلم - السبب الأكبر فيها هو حظ النفس الأمارة بالسوء، وليس هو الخلاف في بعض الآراء الفكرية. هذه نصيحتي».

- رجل من جلساء الشيخ يقول[1] كلمة يؤيدها الشيخ: «يا شيخنا، الصورة قاتمة جداً فيما يجري بين الشباب في كثير من بقاع الأرض، ولا نشك أن هناك منحرفين، وهناك مخطئين، وهناك مبتدعين، لكن أصبحت المواجهة في كثير من الأحايين مواجهة شخصية، ومواجهة للقيل والقال؛ مما لا يَشعُر الشبابُ ما يترتب على ذلك من إضاعة الأوقات».

- الشيخ[2]: «هذه مشكلة المشاكل».

- الرجل - يستمر في كلامه - : «وإثارةِ كثير من الحقد بينهم. هذه المسألة لا يتنبهون لها.

وهم لا نشك أن معهم الحق، لكن كثير من الشباب عندما أسأله:

كم تحفظ من القرآن؟

يقول لي: أحفظ أقل من ثلاثة أجزاء.

كم لك تناقش هذه القضية؟

ثلاث سنوات.

ثلاث سنوات وهم يجلسون: زيد مبتدع، غير مبتدع، كافر، غير كافر، زنديق، غير زنديق، قال، ما قال، منحرف، غير منحرف.

---

(١) (١٦:٥٤).

(٢) (١٧:٣٠).

وقد يكون منحرفاً، ويكون مخطأ».

- الشيخ: «نعم، نعم».

- الرجل - يستمر - : «ويكون ضالاً.

هم يظنون إذا جاءهم ناصح وقال لهم: هذا مضيعة للأوقات - الأغرب - يظنون أن الناصح مع هؤلاء».

- الشيخ - يضحك - : «سبحان الله!».

- الرجل: «عجيب!».

- الشيخ: «إي والله».

- الرجل - يستمر - : «وهو يريد نصحهم.

شاب عمره سبعة عشرة سنة لا يحفظ إلا القليل و، و، الآن يناقش في مسائل عميقة جداً؛ قد يتأنّى فيها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه ويتريثون بها، بينما هم يتسرعون إلى مثل هذه القضايا».

- الشيخ: «إي والله».

- الرجل: «فنريد توجيهاً بمثل هذا».

- الشيخ[1]: «أنا كثيراً ما أُسأل: ما رأيك في فلان؟ فأفهم: أنه متحيز له، أو عليه. وقد يكون الذي يَسأل عنه من إخواننا. وقد يكون من إخواننا القدامى الذي يقال: إنه انحرف.

---

(١) (١٨:٤٠).

فأنا أنصح السائل: يا أخي ما شأنك بزيد وبكر وعمرو؟! استقم كما أُمرت، تعلّم العلم، هذا العلم سيميز لك الصالح من الطالح، والمخطئ من المصيب، وإلى آخره.

ثم لا تحقد على أخيك المسلم لمجرد أنه - ما أقول أخطأ، بل أقول: - انحرف. لكن هو انحرف في مسألة، اثنتين، ثلاثة، والمسائل الأخرى ما انحرف فيها.

فنحن نجد في أئمة الحديث من يتقبلون حديثه ويقولون عنه في ترجمته: إنه مرجئيّ. وإنه خارجيّ. وإنه ناصبي. و، و، إلى آخره.

هذه كلها عيوب، وكلها ضلالات ، لكن يوجد عندهم ميزان يتمسكون به؛ ولا يرجّحون كفة سيئة على الحسنات، أو سيئتين، أو ثلاث على جملة حسنات؛ ومن أعظمها شهادة: أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله».

ثم يقول[1] - وهو يذكر سبباً لحقد بعض على بعض - : «والله يوجد عندهم عمل سياسي، وعندهم ما يشبه الخروج على الحكام، إلى آخره.

نعم؛ الخوراج كانوا كذلك؛ الخوارج الرسميون الذين لا يشك العلماء أن قول الرسول - عليه الصلاة والسلام - : «الخوارج كلاب النار» إنما قُصدوا هم؛ الذين خرجوا على علي، وأنهم: «يَمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» - في الحديث المعروف في الصحيحين - هم المقصودون. مع ذلك يروون الحديث عنهم، ويعتبرونهم مسلمين. فهم يَدَعون ضلالاتهم، ويبينون حسناتهم، وهذا من معاني

---

(١) (٢٠:٥٩).

قولـــه تعـــالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾.

فهؤلاء إذا كان عندهم انحراف؛ ما أعتقد أنه انحراف في العقيدة، إنما هو انحراف في الأسلوب».

ثم يقول[1] لأبي طلحة: «أنا أنصحك: لا تُشغل حافظتك الشابة بحفظ ما لا ينفعك. لا ينفعك يقيناً، وقد يضرك، لكن ليس يقيناً.

لا تحفظ كلام فلان، وفلان، وفلان؛ ممن يغلب على ظنك أنهم ليسوا على الصراط المستقيم معنا؛ لأنك ما كُلِّفت شرعاً بأن ترد على كل من يخطئ».

❋ ❋ ❋ ❋

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ٧٨٥) : (٠٦:٢٤).

- يقول الشيخ[1]: «أنا في الواقع؛ أريد من إخواننا الدعاة إلى السنة أن يعرفوا طبيعة البشر، وأن يلاحظوا صعوبة الإنفكاك عن العادة، وعن التقليد إلا بعد جُهد جهيد، وزمن مديد.

لعلك تشاركني في اطلاعك على علم أبي الحسنات اللكنوي، وأنه من نوادر الحنفية في الهند، الذين تأثروا بمنهج أهل الحديث، واختاروا كثيراً من المسائل التي يخالفون فيها أئمتَهم، وأنه مات ولم يكتب له أن يعيش حياة طويلة، و - في اعتقادي- لو أُتيح له ذلك لكان رأساً في الدعوة إلى الحديث وأهل الحديث هناك في الهند حيث كان يقيم.

لكن؛ كما يقولون - وما أدري هذه العبارة صحيحة أن تقال: - أعجلته المنية؛ فلم يُتح له أن يستمر في هذا النقد العلمي لغزارة علمه، [وإلّا] لأصبح في رأيي خيراً من الذي جرت بينه وبينه مناقشات طويلة؛ وهو صديق حسن خان.

فإذن؛ إذا رأينا أبا جعفر الطحاوي وأمثاله متمسكين بالمذهب فيجب أن نعرف أن هذه طبيعة البشر، وأن التخلص من آثار - بل ومن أوضار - هذا الجمود المذهبي ليس بالأمر السهل أبداً.

- فإذا وجدنا أبا جعفر يخالف مذهبه في عشرات المسائل في كتابه الذي يتجلّى فيه تعصبه لمذهبه؛ وهو «شرح معاني الآثار» ؛ ففي هذا الكتاب نفسه يصرح بمخالفته لأبي حنيفة، والإمام محمد، وأبي يوسف؛ اتّباعاً للحديث - .

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ٣٦٩) : (١١:٥٣).

فأنا أعلّل: لأنه لم يَخرج عن التقيّد بالمذهب إلى حد كبير كما هو الشأن في ابن تيمية، وابن القيم، حيث خرجا عن التمسك بالمذهب الحنبلي إلى أبعد الحدود، لكن مع ذلك بقيت هناك رواسب كثيرة، وبخاصة بالنسبة لابن القيم، حيث بقيت فيه رواسب التصوف. كان قد تتلمذ فيما يبدو لنا على بعض المشايخ الصوفية هناك، ولذلك تجد منه التصوف، لا نجده في ابن تيمية. وأنا شخصياً لا ألومه؛ لأن الخلاص من هذه الرواسب ليس بالأمر السهل أبداً.

فخلاصة الكلام؛ أن أبا جعفر الطحاوي هو رجل عالم بالسنة، عالم بالحديث على طريقة أهل الحديث، ويجمع الطرق والألفاظ، ويجمع بها أحكاماً شرعية، وفي كثير من الأحيان يجتهد ولا يقلد. لكن أكثر الأحيان مع الأسف هو حنفي المذهب.

فإذن؛ إذا ذكرنا سيئاته ذكرنا - أيضاً - معها حسناته.

ولكن أنصح - في سبيل إيجاد شيء من التقارب الفكري بيننا وبين المخالفين لنا - أن لا ندندن حول السيئات، وإنما نكثر من الدندنة حول الحسنات، وحينما نضطر إلى أن نذكر: «أنه هذا رجل مع فضله وعلمه ظلَّ جامداً على تقليده لأكثر المسائل» نفعل ذلك؛ لأننا لا نريد أن نحابي أحداً، ولكن نريد - كما أشرتَ أنت قريباً في بعض الجلسات العلمية: يجب - أن نستعمل السياسة الشرعية..

كذلك. لأن الحقيقة أنا أخشى من الإفراط والتفريط؛ أن يتربى إخواننا الطلاب الناشئون على الغمز واللمز والطعن في المخالفين لنا في كثير من المسائل، بينما هم يسلكون معنا الخط الأساسي؛ وهو اتّباع الكتاب والسنة، لكن يختلفون عنا أنهم لا يزالون مقلدين.

وأنا – كما يقولون عندنا في سوريا – العبد الفقير أعرف لماذا أنا منسجم معكم كثيراً؛ لأني ما عشت تحت توجيه عالم حنفي، وإنما ربّنا عزوجل أنقذني بفضل من عنده، ونشّأني نشأة علمية خاصة، وما عرفت التمذهب إلا في أول حياتي العلمية؛ قرأتُ على والدي رحمه الله، وعلى غيره من بعض المشايخ الحنفية مثلَ مراقي الفلاح، والقُدوري، ونحو ذلك، لكن سرعان ما ربّي هداني إلى السنة، وعشت عليها كما ترون، لكني أتصور لو كنت قد نشأت على المذهب الحنفي سنين طويلة، ثم جاءني الفتح بعد لَأيٍ؛ الكتاب والسنة، كما نفعل نحن مع الناس اليوم، هيهات حتى يرجع ويعود إلى الصواب بالمئة خمسون، ستون، صعب جداً هذا.

ولذلك؛ فأنا أعتقد أنه ينبغي علينا أن نكون قنوعين إذا ما رأينا إنساناً في الخطوة الأولى وافق معنا على الكتاب والسنة.

لو التقينا مع بعض هؤلاء المقلدين، أو الصوفيين المنحرفين، أو الأشاعرة، أو الماتريديين فاستجاب لنا: «أنه والله هذا الكلام هو الحق: الكتاب والسنة ولا شيء»، لكن أنت تراه لا يزال على عقيدته، على حنفيته؛ فأنا أقول: مجرد أن تسمع منه هذا الإعتراف – على التعبير السوري – اضحك يا (أُبَك)[1]، اضحك يا أُبَك؛ إنه وافق معك على هذا الأصل الصحيح. لكن بعد ذلك تابعه بالموعظة والتذكير، وإلى آخره، ثم ما حصّلتَ منه من انحراف عما كان عليه من التمذهب إلى التمسك بالكتاب والسنة هذا نور على نور. أمّا أن يصبح سلفي العقيدة والمنهج العلمي قسراً ما بين عشية وضحاها فهذا أمر مستحيل..

---

(١) كأنه يقول هذا.

أنا أقول لبعض إخواننا أضرب لهم مثلاً - وهذا المثال الآن أذكره لأضرب به عصفورين بحجر واحد، أولاً تنبيهاً للحاضرين، وتمثيلاً لصعوبة إرشاد الناس ونقلهم عن عادة من العادات، مع أنهم مسلمون ومتَعبِّدون لله رب العالمين، ولكنهم اعتادوا عادة، ومن الصعب جداً جداً أن يَحيدوا عنها.

وحينما نذكر هذا المثال نذكر عظمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أُرسل إلى العرب الذين كانوا يعبدون الأصنام، وكانوا على أخلاق معروفة سيئة من وأد البنات ومعاقرة الخمور ونحو ذلك؛ كيف استطاع عليه الصلاة والسلام أن ينقُل هذه الأمة العربية من الضلال إلى الهدى، من الشرك الأكبر إلى التوحيد، إلى آخره. هذه وحدها معجزة للرسول ﷺ فيما إذا قسناها بالدعاة الآخرين.

- المثال هو وإخواننا الأُردُنيون يعرفون ذلك:

تعرفون صديقنا أبا مالك محمد شقرة؛ هو إمام مسجد هناك يسمى بمسجد صلاح الدين، وهو من أوائل الذين استجابوا للدعوة السلفية - والحمد لله رب العالمين - هناك، وعَرَفَ في جملة ما عَرَف من السنة التي خَفيت على كثير من المصلين - وهنا القصد بالتذكير - الحديثَ المعلوم لديكم مما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أَمّن الإمامُ فأمّنوا، فإنه مَن وافَقَ تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه.

المشاهَد الآن في العالم الإسلامي كله - وهذه البلاد من هذا العالم - : لا يكاد الإمام يُتمّ قراءة الآية الأخيرة من الفاتحة؛ لا يكاد يُسْكن نون ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ إلا

والمسجد ضجّ بآمين، والحديث يقول: «إذا أمّن فأمِّنوا»، والعلماء يشرحون هذا الحديث بمعنيين: «إذا أمّن» أي: شَرَع. «إذا أمّن»: إذا فَرَغ.

وإذا أخذنا القول الثاني في تفسير الجملة هذه يظهر تباين التطبيق لهذا الحديث، والخطأ فاحش جداً.

وإذا أخذنا القول الأول - وهو الذي اطمأنتْ نفسي إليه أخيراً: إذا شرع الإمام بآمين فاشرعوا أنتم بآمين - مع ذلك فالمخالفة متجسِّدة تماماً. هذا هو العصفور الواحد، وهو: تنبيه إخواننا الطلاب أولاً: ليربوا أنفسهم على هذه الملاحظة؛ فلا يسبقوا الإمام بكلمة آمين إلا بعد أن يَسمعوا تأمين الإمام. ولا يستعجلنّ أحد فيقول: «وإذا كان الإمام لا يُأمِّن جهراً كالحنفية مثلاً؟»؛ هذا له حكم آخر.

العصفور الثاني: أخونا هذا أبو مالك؛ إلى هذه الساعة منذ سنين وهو يحاول أن يربي الناس القليلين الذين يصلون في مسجده، وفي كل صلاة جمعة فضلاً عن بقية الصلوات الخمس ينبّه الناس هذا التنبيه بإيجاز، ويذكرهم بالحديث، مع ذلك بأوّل ما يقرأ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وكأنه ما تكلم!

فنقول لإخواننا صراحة: أنظروا ما أصعب إرشاد الناس ونقلهم من عاداتهم وتقاليدهم إلى الصواب! فإلى الآن تجد الناس مع تكرار التنبيه والتعليم والتوجيه ما استقاموا على السنة في هذه الجزئية! فما بالكم إذا وسّعنا دائرة التعليم والتذكير في العشرات والمئات المسائل!

والله هذه الدعوة تحتاج إلى صبر أيوب عليه السلام، ولا أقول إلى عمر نوح عليه السلام الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً؛ لأنه هذا خلاف سنة الله عزوجل في خلقه، لكن يحتاج الداعية أن يكون صبوراً.

ومن الصبر أن نستعمل الحكمة والسياسة - كما أشرتم أنتم في بعض كلماتكم - مع هؤلاء المخالفين، وأن نتلطف معهم، وأن لا نحقر علمائهم بينهم؛ فيظنون بنا ظن السَّوء».

ثم يقول[1]: «المهم أن أعرف أنا هل جمعت بين الصدع بالحق، والدعوة إلى هذا الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، أم لا؟

فإذا أنا لم أجمع؛ قد أصدع بالحق ولا أستعمل الحكمة - وهذا موجود - ، وقد استعمل الحكمة وأتلين بها حتى أضيع الصدع بالحق؛ فلا هذا صواب، ولا هذا صواب.

وإنما الصواب أن نجمع بين الدعوة إلى الحق، وبين الحكمة والموعظة الحسنة.

أما زيد من الناس، أو جماعة من الناس يريدون منا باسم الحكمة أن لا نتحدث ولا نصارح بالحق؛ فهذا بلا شك ليس من الحق في شيء.

فإذن؛ نجمع بين الأمرين، ونجاهد أنفسنا على هذا الجمع بين الحقين؛ حقِ الدعوة، وحق استعمال الحكمة والموعظة الحسنة».

---

(١) (١٧:٣٤).

ثم يقول[١] رجل[٢] من الجالسين: «نرى كثيراً من (..)[٣] المنهج السلفي دائبين في الهجوم على المنهج السلفي وعلى رموزه - كما يقال - من أئمة السلف؛ كابن تيمية وابن القيم وعبدالوهاب، ودائبون في هذا العمل لا يفترون.

ومع دأبهم هذا لا نسمع صيحات ولا ضجيجاً حول هذا العمل الماكر، لكن إذا بلغ السيلُ الزُّبى، وتصدّى لهذا التيار الخطير بشأن الرد؛ تأتي الإنتقادات.

أنتم - مثلاً - اعتدى عليكم فلان دافعتم، سمعتم الصيحات - عرفتم هذا في سوريا؟ - ؛ صيحات : هذا الأسلوب شديد! ولا بد من الحكمة! ولا بد من اللين! لا بد من الصبر! لأن ألد الأعداء شيوعيون، وبعثيون، وناصريون، و، و، إلى آخره.

فنحن نرى هذه الطائفة دائبة لا تفتُر؛ في مؤلفات، في تعليقات، في كذا وكذا وكذا.

فماذا نصنع؟ هل من الحكمة أن ما نقدح في شيوخهم أبداً، ونسعى في بيان الحق بدون هذا الأسلوب، أو - أيضاً - كجزء من الدعوة لا بد أن نتصدّى لهذا التيار، ونُبيِّن ما فيه من ظلم وعدوان وانحراف؟

يعني: هل نجمع بين الأمرين؟ أو نرجح جانب السكوت ونمضي بدعوتنا هكذا هادئين (..)[٤]».

---

(١) (٣٥:٢٤).

(٢) أظن الرجل هو الشيخ ربيع المدخلي.

(٣) كلمة غير واضحة. ومن السياق يعرف أنه يتكلم عن خصوم المنهج السلفي.

(٤) جملة غير واضحة عندي.

- الشيخ[1]: «لا ، ما يكفي هذا.

لا بد من الجمع بين الدعوة إلى الحق، والردّ على الذين يبطلون ويحاربون الحق والدعاة إليه. وهذا؛ للأمر الواضح جداً من كلامنا السابق: الصدع بالحق واستعمال الحكمة والموعظة».

- الرجل: «أصبح في مفهوم الناس أن هذا ليس من الحكمة؛ المناقشة و».

- الشيخ: «هذا رجعنا إلى الناس! ما لنا وللناس!

علينا أن نعرف الحق، وأن نتقرب إلى الله عزوجل بالدعوة إليه، وكلنا يعلم قوله تبارك وتعالى في السورة؛ سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

فعلينا أن ندعو إلى الحق، وأن نصبر على ذلك، وأن لا نكِلّ ولا نمل مهما تألّب الأعداء علينا وردوا علينا ونسبونا إلى التشدد و - ربما - إلى الخروج أو نحو ذلك، فلا يهمنا.

إذا كان ربنا عزوجل يقول لنبيه ﷺ: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾؛ تُرى ما نسبتنا - نحن الذين نزعم أننا دعاة - إلى نبيّنا عليه الصلاة والسلام؟ لا شيء يذكر.

فإذا كان الكفار والضلال يتكلمون عادة في الرسل - ومنهم نبينا ﷺ - فإذن؛ نحن يجب أن نهيّأ أنفسنا أننا سنسمع من الذين ضلوا كلاماً كثيراً، وأن نصبر على

(١) (٠٩:٣٧).

دعوتنا لنؤجر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ ، والله المستعان».

❋ ❋ ❋ ❋

- يسأل[١] الشيخَ رجلٌ من الجزائر عن حكم التعامل مع جبهة الإنقاذ قائلاً: «ما فهمنا قولكم: «لا نتعامل مع هؤلاء الناس»؛ هل يدخل في هذا الكلام جواز الإنتخاب عليهم أم لا؟».

- فيجيب الشيخ قائلاً : «نحن لا نقول : لا تتعاملوا. نحن نقول : لا تنضموا إليهم كحزب. وإلا يجوز أن تتعاملوا مع اليهود والنصارى في حدود الشرع؛ فضلاً عن المسلمين.

نحن ما قلنا ولن نقول: لا يجوز أن تتعاملوا مع المسلمين. لكن لا يجوز أن تتكتلوا حزباً واحداً تتعصبون لهذا الحزب على المسلمين جميعاً. هذا الذي نقول».

ثم يقول[٢]: «نحن لا نقول لكم: لا يجوز أن تتعاملوا مع الجماعة الحزبيين».

❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ٣٢٨) : (٠١:٣٤).
(٢) (١٧:٣٦).

- يسأل الشيخَ سائل فيقول[1]: «هل دعوة هذه الأحزاب للّقاء والتعاون ونبذ الخصومات مجدي في نظركم الآن؟

وقد تُفرِزُ هذه الدعوة تجمعاً جديداً من صالح الجماعات الذين يرون تحزب جماعاتهم، فما رأيكم؟ بارك الله فيكم».

- فيجيب الشيخ قائلاً[2]: «نحن ما نمتنع أبداً عن أن نمد يدنا إلى كل من يدعونا إلى التفاهم والتعاون، لكن بالشرط الأساسي الذي نحن ندين الله به: على الكتاب والسنة.

فكل من دعانا إلى ذلك فنحن نستجيب ونتعاون، ولا نخشى بعد ذلك أن توجد كتلة جديدة هي مثل سابقاتها من الإنحراف قليلاً أو كثيراً عن الكتاب والسنة.

وهذه ظاهرة بدت الآن مع الأسف بالنسبة لبعض إخواننا الذين كانوا ولا يزالون يدندنون حول الدعوة للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، ولكنهم بدأوا منذ أمد قريب يعملون في المجال السياسي[3]، وبذلك سيضعف نشاطهم في دعوة المسلمين بعامة إلى أن يتعرفوا على إسلامهم على ضوء الكتاب والسنة.

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ٣٢٠) : (٣١:٠٠).

(٢) (٣١:١٧).

(٣) ويقول - في: «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ٣٤٧) : (٠٦:٥٧) - : «لا يسمى هذا الذي يتعاطى العمل السياسي (قبل أوانه) مبتدعاً، كل ما يمكن أن يقال: بأنه خالف نظام الدعوة إلى الله عزوجل مجتهداً».

بالإختصار: لا نمتنع عن التعاون، بشرط: على أساس الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح».

- السائل[1]: «سؤال آخر؛ قد يكون امتداداً للسؤال الأول:

ما رأيكم في الأحزاب الإسلامية القائمة الآن؟

وهل ترون الوقوف معها في القضايا المشتركة الصحيحة بيننا وبينهم؟

على الرغم من وجود انحرافات في أمرين عندهم:

الأمر الأول: انحراف فيمناهجها.

الأمر الثاني: عدم قيامها هي بنصرة من يناصرها إذا كانوا لا ينتمون لتنظيماتها.

وهل هذا القيام معهم في الأمور المشتركة يصرف الدعوة السلفية عن خط سيرها القائم على التصفية والتربية؟».

- الشيخ: «كما قلتَ: «سبَقَ الجواب عنه فيما سبق»؛ نحن لا ننضَمُّ إلى تكتل فيه مخالفة، وفيه إعراض عن الإشتغال بالدعوة إلى الكتاب والسنة تفصيلياً. لكننا نتعاون معهم في حدود ما عليه هم من الحق، ولكننا لا نتحزب ولا نتكتل معهم.

هذه التكلات اليوم لا تنجو من التحزب. وهذا يلاحظ كثيراً وكثيراً جداً».

- ثم يقول[2] السائل: «واقع السلفية في الأردن أغرى بعض الناس للقيام بدعوة إلى تكتلات وتنظيمات باسم السلفية، وهذه التنظيمات اختلفت في توجهاتها لاختلاف دعاتها:

---

(١) (٣٢:٤٧).

(٢) (٣٦:٠٢).

فمنهم من أراد أن يُسيِّر السلفيين في موجة الديمقراطية المزعومة الموهومة، كتكوين أحزاب سياسية على غرار الإخوان المسلمين.

وبعضهم يريد تكوين أحزاب لها صلة بجماعات الجهاد.

وآخرون يريدون تحويلها إلى جمعيات خيرية، أو لجان زكاة.

فنرجوا كلمة من فضيلتكم حول هذا الواقع».

- الشيخ[١]: «كل ذلك مما يصرف الداعين إلى مثل هذه التكتلات عن الدعوة الصحيحة التي كان بعضهم فيها برهة من الزمن.

والآن - كما قلتُ لبعضهم - كالجمعيات الخيرية - مثلاً - هذه يستطيع أن يقوم بها العادي من الناس، بل لعل النصارى - مع الأسف الشديد - هم أبرع في مثل هذا العمل. ولذلك؛ فلا يجوز لمن كان قد أوتي شيئاً من العقل والعلم أن يضيّع جهده ووقته في مشروع خيري يستطيع أن يقوم به عامة الناس مع توجيه من بعض العلماء أو طلاب العلم لهم فيما يوافقون فيه الشرع في قيامهم بهذا العمل الخيري».

- ثم يقول[٢] السائل: «طيب، هل ترون مجابهة هذه الأوضاع؟».

- الشيخ: «ما نستعمل نحن كلمة: «المجابهة»، نحن نظل في طريقنا وفي سبيلنا، وننصح هؤلاء الذين بدأوا يميلون قليلاً أو كثيراً، حتى ما يبعدوا عن الدعوة الإسلامية مع الزمن الطويل.

لا نجابه، وإنما ننصح ونعظ».

---

(١) (٤١:٣٦).

(٢) (٢٠:٤٠).

- السائل: «طيب، نستخدم كلمة أخرى: التحـذير ممـن يـدّعي الـسلفية، وهـو ينظِّم في تنظيمات أخرى؟».

- الشيخ: «ما فيه مانع[1]، البيان يطرد الشيطان».

❋ ❋ ❋ ❋

(١) ويقول - في : «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقـم: ٧٣٥) : (١٦:٤٠) : تسجيل سنة: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م - : «فالآن؛ التحذير لـيس مـن الـضروري أن تقترن معه المقاطعة والهجر في هذا الزمن، أما حينما يكون مجتمعنا مجتمعاً إسـلامياً فـالأمور هـذه كلُّها يجب أن تكون مجتمعة».

- يسأل الشيخَ سائل فيقول[١]: «هل يجوز التعاون مع رجل أشعري العقيدة في مجال الدعوة إلى الله؟ بحجة أن هذا الخلاف في العقيدة لا يترتب عليه مفاسد، بل إن عدم التعاون معه قد يؤدي إلى تفريق جهود المسلمين».

- الشيخ[٢]: «إذا كان التعاون مع مثل هذا الرجل لا يؤدي بالمتعاون معه إلى أن يتهاون بعقيدته - فذلك مما يجوز بلا شك، بل أنا أعتقد أن المؤمن القوي الإيمان من مصالحه الدينية أن يتعاون مع المسلمين الآخرين الذين انحرفوا عن العقيدة السلفية بسبب من الأسباب القديمة أو الحديثة.

أولى بهذا المؤمن السلفي أن يتعاون مع هؤلاء؛ لأنه سيجد الفرصة المناسبة لتبليغ الدعوة السلفية إليهم.

والذي يقع - ونعرف نحن ذلك بالتجربة - أن أولئك المخالفين سيكون موقفهم من هذا المؤمن الصالح السلفي أحد أمرين:

إما أن يستجيبوا لدعوته ، فيميلون إلى تقبل المذهب السلفي، والإنحراف عن مذهبهم الخلفي. وهذا وقع كثيراً.

وإما أن يرفضوه ومذهبه، وأن يأبوا أن يعاملوه، فيعود الأمر عليهم وليس عليه».



---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني/ متفرقات للألباني» (الشريط رقم: ١٧٥) : (٤١:٥٤).

(٢) (٤٢:١٠).

- يسأله سائل فيقول[١]: «هل يجوز إفشاء السلام على المدخن، والحليق، ومن يتوسل بالأنبياء، ولا يريد الرجوع عن هذه المعصية؟».

- الشيخ[٢] - يجيب فيضحك الجالسون - : «إذن؛ تَرَضَّ عن الذي يدعو إلى العزلة!».

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ١٢الوجه ب) : (٢٨:٣٦).

(٢) (٢٨:٤٧).

- يسأله سائل فيقول[1]: «ما قولكم - يا شيخ - فيمن يقول: لا يُترحم على مَن خالف عقيدة السلف؛ كالنووي، وابن حجر، وابن حزم، وابن الجوزي، وغيرهم، ومن المعاصرين سيد قطب، وحسن البنا؟ مع أنكم تعلمون ما عند البنا في مذكرات الدعوة والداعية، وعند سيد قطب في ظلال القرآن».

- الشيخ[2]: «نحن نعتقد أن الرحمة، أو بعبارة أصرح: الدعاء بالرحمة جائزة لكل مسلم، ومحرمة على كل كافر.

فالجواب هذا يتفرع على اعتقاد يقوم في نفس الشخص:

فمن كان يرى أن هؤلاء - الذين سُمّوا في السؤال - وأمثالَهم مسلمون فالجواب عُرف مما سبق: أنه يجوز الدعاء لهم بالرحمة وبالمغفرة.

ومن كان يرى - لا سمح الله - أن هؤلاء المسلمين الذين ذُكروا في السؤال هم ليسوا من المسلمين؛ فلا يجوز الترحم عليهم؛ لأن الرحمة قد حُرِّمت على الكافرين.

هذا هو الجواب بالنسبة لما جاء في السؤال».

- السائل: «إي نعم، لكن يا شيخ؛ يقولون هم: إن من منهج السلف أنهم كانوا لا يترحمون على أهل البدع. فبالتالي يَعدون هؤلاء الذين ذُكروا في السؤال من أهل البدع، فهم من هذا الباب لا يترحمون عليهم».

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ٦٦٦) : (٠١:١٢) : تسجيل سنة: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

(٢) (٠١:٣٣).

- الشيخ: «نحن الآن قلنا كلمة : الرحمة تجوز لكل مسلم، ولا تجوز للكافر. هل هذا الكلام صحيح أم لا؟

إن كان صحيحاً فالسؤال الثاني غير وارد.

وإن كان غير صحيح فالمناقشة واردة.

ألا يُصلَى على هؤلاء الذين يُطلِق عليهم بعضهم أنهم من أهل البدع، ألا يصلى عليهم صلاة المسلمين؟

ومن عقائد السلف التي توارثها الخلف عن السلف أنه: يُصلّى وراء كلِّ بَرٍّ وفاجر، ويصلَّى على كل بَرٍّ وفاجر. أما الكافر فلا يُصلَّى عليه.

إذن؛ هؤلاء الذين دار السؤال الثاني حولهم أنهم من أهل البدع - هل يُصلّى عليهم، أم لا يُصلى عليهم؟

لا أريد أن أدخل في نقاش إلا إذا اضطُررتُ إليه؛ فإن كان الجواب بأنهم يُصلى عليهم؛ انتهى الموضوع، ولم يبق للسؤال الثاني محل من الإعراب كما يقول النحويون، وإلا فمجال البحث مفتوح ووارد».

- السائل: «طيب، والذي يقول - يا شيخ - : لا يصلى عليهم مثلاً على أساس أنهم أهل البدع - فكيف يكون الجواب عليه؟».

- الشيخ: «ما هو الدليل؟».

- السائل: «يَستدل بالسلف، يعني: - مثلاً - يُفرِّق بين الفسق والفجور، وأهلِ البدع الذين يبتدعون في الدين. وما كان السلف يصلون على أهل البدع، ولا يجالسونهم، ولا يشاربونهم. فمن هذا الباب هو يقول هذا الشيء».

- الشيخ: «حِدت، فانتبه! ماذا كان السؤال؟».

- السائل: «عن الصلاة عليهم».

- الشيخ: «لا. وحُقّ لك أن تحيد، لأنك أطلت الجواب في غير جواب.

كان السؤال: ما هو الدليل؟

أنت ذكرت الدعوى، والدعوى غير الدليل.

أي: من يقول: «إنه لا يُصلى على المسلم المبتدع» ما هو الدليل؟».

- السائل: «هو ما عنده دليل، فقط يَستدل بفعل السلف».

- الشيخ: «أهو الدليل فعل السلف؟».

- السائل: «هكذا يقول».

- الشيخ: «طيب، أين الدليل؟».

- السائل: «هو ما يَذكر، لكن دائماً الكلام يكون عاماً في هذا الأمر».

- الشيخ: «طيب. السلف: أليس كانوا يقاطعون بعض الأشخاص لذنب ما، أو لبدعة ما، فهل معنى ذلك أنهم كفّروه؟».

- السائل: «لا».

- الشيخ: «طيب؛ لا. إذن؛ حَكموا بإسلامه؟ بلى.

فإذن؛ نحن ما عندنا فرق بين مسلم وكافر، ما يوجد عندنا وسط؛ يعني: ما عندنا - كالمعتزلة - منزلة بين المنزلتين؛ إما مسلم فيعامَل معاملة المسلمين، وإما كافر فيعامَل معاملة الكافرين.

ثم يا أخي - بارك الله فيك - هذه مجرد دعوى؛ أي: «أن السلف ما كانوا يصلون على عامة المبتدعة، وعلى كل المبتدعة» مجرد دعوى؛ تقوم في أذهان بعض الناس الطيبين الذين يأخذون المسائل بحماس وعاطفة غير مقرونة بالعلم الصحيح القائم على: قال الله، قال رسول الله ﷺ.

فأنا قدَّمت لك حقيقة لا يختلف فيها اثنان؛ وهي:

إما مسلم، وإما كافر :

فالمسلم - مهما كان شأنه - يصلَّى عليه، ويُوَرَّثُ، ويُوَرِّثُ، ويُغسَل، ويُكفَّن، ويُدفَن في مقابر المسلمين.

وإن لم يكن مسلماً نُبذ نبذ النواة، ودفن في قبور الكافرين.

ما يوجد عندنا شيء وسط.

لكن؛ إن لم يُصل مصلٍّ ما، أو عالم ما، على مسلم ما؛ فذلك لا يعني أن الصلاة عليه لا تجوز، وإنما يعني أنه يرمي إلى حكمة قد لا تتحقق هذه الحكمة بغيره، مثْلُ الأحاديث - التي لا بد أنك تذكر شيئاً منها - التي يقول الرسول عليه الصلاة والسلام في بعضها: «صلوا على صاحبكم»، ما صلى الرسول عليه.

تُرى؛ آلرّسول الممتنع عن الصلاة على مسلم أهمّ، أم العالِم السلفي إذا امتنع عن الصلاة على مسلم أهم؟».

- السائل: «ترك النبي ﷺ».

- الشيخ: «حسناً. فإذا كان ترك الرسول الصلاةَ على مسلم لا يدل على أنه لا يجوز الصلاة عليه - فمن باب أولى حينئذ: تركُ عالمٍ من علماء السلف الصلاة على مسلم مبتدع لا يدل على أنه لا يُصلَّى عليه.

ثم إن دل على أنه لا يصلّى عليه فهل معنى ذلك أنه لا يُدعَى له بالرحمة والمغفرة مادام أننا نعتقد أنه مسلم؟

إذن؛ باختصار: امتناع بعض السلف عن الصلاة على بعض المسلمين بسبب بدعة لهم - فذلك لا ينفي شرعية الصلاة على كل مسلم؛ لأن هذا من باب الزجر والتأديب لأمثاله، كما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام في الذي لم يُصلِّ عليه، وليس له ذنب إلا أنه مات وعليه دَين، وفي الغالّ من الغنيمة، ونحو ذلك.

فإذن؛ هذا الإمتناع - أي: امتناع الرسول - أهم من امتناع بعض السلف. فهذا وذاك لا يدلان على أنه لا يجوز الصلاة على المسلم المبتدع.

ثم هنا لا بد من بحثٍ:

يجب أن نعرف من هو المبتدع، تماماً كما يجب أن نعرف من هو الكافر:

فهنا سؤال - كما يقولون اليوم - يطرح نفسه:

هل كل من وقَع في الكفر وقَع الكفرُ عليه؟ وكذلك كل من وقع في البدعة وقعت البدعة عليه؟ أم الأمر ليس كذلك؟

إذا كان الجواب: «ليس كذلك» نمضي في الموضوع.

وإن كان خافياً فلا بد من بيانه.

أعيد المسألة بشيء من التفصيل:

ما هي البدعة؟

هي: الأمر الحادث على خلاف سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يريد به صاحبه أن يزداد تقرباً إلى الله تبارك وتعالى.

فهل كل من ابتدَع بدعة يكون مبتدعاً؟

أريد أن أسمع الجواب باختصار: لا. بلى».

- السائل: «لا».

- الشيخ: «إذن؛ من هو المبتدع؟».

- السائل: «الذي تقام عليه الحجة، ويُصِرُّ بعد ذلك على بدعته».

- الشيخ: «حسناً، فهؤلاء الذين نقول نحن عنهم: «لا يُترحم عليهم» هل أقيمت الحجة عليهم؟

أنا أقول من عندي: الله أعلم.

أما أنت فماذا تقول؟ فقل ما عندك».

- السائل: «الله أعلم، أقول كما قلتَ يا شيخ».

- الشيخ: «جزاك الله خيراً.

إذن؛ ما هو الأصل في هؤلاء؛ الإسلام أم الكفر؟».

- السائل: «الإسلام».

- الشيخ: «طيب. إذن؛ الأصل أن يُترحم عليهم، أليس كذلك؟».

- السائل: «بلى».

- الشيخ: «إذن؛ انتهت القضية، فلا يجوز أن نتبنى اليوم مذهباً فنقول: لا يجوز الترحم على فلان، وفلان، وفلان من عامة المسلمين فضلاً عن خاصتهم، فضلاً عن علمائهم. لماذا؟

لسببين اثنين - وهذا تلخيص ما تقدم - :

السبب الأول: أنهم مسلمون.

السبب الثاني: أنهم إن كانوا مبتدعين فلا نعلم أنه أقيمت الحجة عليهم، وأصروا على بدعتهم وضلالهم.

لهذا أنا أقول: من الأخطاء الفاحشة اليوم: أن الشباب الملتزم والمتمسك بالكتاب والسنة - فيما يظن هو - يقع في مخالفة الكتاب والسنة من حيث لا يدري ولا يشعر. وبالتالي يَحق لي (على مذهبهم!) أن أسميهم مبتدعة؛ لأنهم خالفوا الكتاب والسنة، لكني لا أخالف مذهبي؛ الأصل في هؤلاء أنهم مسلمون، وأنهم لا يتقصدون البدعة، ولا يكابرون الحجة، ولا يردون البرهان والدليل، لذلك نقول: أخطأوا من حيث أرادوا الصواب.

وإذا عرفنا هذه الحقيقة نجونا من كثير من الأمور الشائكة في هذا الزمان.

ومن ذلك؛ جماعة الهجرة والتكفير التي كانت في مصر، وكانت نشرتْ شيئاً من أفكارها، وكانت وصلتْ إلى سوريا يوم كنتُ هناك، ثم إلى هنا أيضاً، وكان لنا هنا إخوان على المنهج السلفي - : الكتاب والسنة - تأثروا بتلك الدعوة الباطلة، وتركوا الصلاة مع الجماعة، بل والجمعة، وكانوا يصلون في دورهم وبيوتهم، حتى اجتمعنا معهم وعقدنا ثلاث جلسات:

الجلسة الأولى؛ ما بين المغرب والعشاء، وامتنعوا من الصلاة خلفنا؛ أعني: خلفنا نحن السلفيين، وما أردت أن أقول خلفي، لأني سأتحدث عن نفسي؛ كانوا يقولون: «نحن نعتمد على كتبك» ومع ذلك لا يصلون خلفي! - لماذا؟! - لأننا لا نُكفِّر المسلمين الذين هم يكفرونهم.

الجلسة الثانية؛ كانت في عقر دارهم، واستمرت إلى نصف الليل، لكن بدأت البشائر - والحمد لله - تظهر في استجابتهم لدعوة الحق؛ حيث أذّنّا، وأقمنا الصلاة، وصلينا هناك قبيل نصف الليل، فصلوا خلفنا.

أما الجلسة الثالثة؛ فقد استمرت من بعد صلاة العشاء إلى أذان الفجر؛ سحبة واحدة، وكانت - الحمد لله - القاضية، وهم إلى اليوم معنا، وقد مضى على ذلك نحو اثني عشرة سنة. والحمد لله.

فما هي إلا شبهات جاءتهم من عدم فقههم في الكتاب والسنة.

ولعلك تعلم - يا أخانا خالد - بأن التفقه في الكتاب والسنة ليس أمراً سهلاً اليوم بعد أن ورثنا مذاهب شتّى، وفِرَقاً كثيرة جداً في العقائد، والفقه؛ فلا يستطيع الطالب الناشئ أن يخوض في خضم هذه الخلافات إلا بعد زمن مديد وطويل جداً من دراسة ما يسمى اليوم بالفقه المقارن، ودراسة أدلة المختلِفين في الأصول والفروع. وهذا - في الواقع - يحتاج إلى عمر مديد أوّلاً، ثم إلى توفيق من رب العالمين ثانياً، حتى يتمكن المسلم من أن يحقق الله - عزوجل - له دعوته التي سنها لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما كان يدعو في بعض أدعية صلاة الليل:

«اللهم اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

ولذلك؛ فنحن ننصح شبابنا الناشئ اليوم على مذهب الكتاب والسنة بأن يتّئدوا، ويتروّوا، ولا يصدروا أحكاماً يبنونها على بعض ظواهر الأدلة؛ لأن ليس كل ظاهر ينبغي للمسلم أن يقف عنده، وإلا عاش في بلبلة علمية لا نهاية لها.

أظنك تعلم أن أقرب المذاهب إلى الكتاب والسنة هو مذهب أهل الحديث، وأنك تعلم أن أهل الحديث يعتمدون على رواية المبتدعة إذا كانوا ثقاتاً صادقين حافظين، ومعنى هذا أنهم لم يحشروهم في زمرة الكافرين، ولا في زمرة أولئك الذين لا يَترحمون عليهم.

بل أنت تعلم أن هناك في بعض الأئمة المُتَّبَعين اليوم من لا يشك عالم مسلم - عالم حقاً - بأنه مسلم، وليس هذا فقط؛ بل وعالم فاضل، ومع ذلك فقد خالف الكتاب والسنة، وخالف السلف الصالح في غير ما مسألة، أعني بذلك - مثلاً - : النعمان بن ثابت أبا حنيفة رحمه الله، الذي يقول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص. ويقول: لا يجوز للمسلم أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله، وأنه إذا قال إن شاء الله فليس مسلماً.

لا شك أن هذا القول بدعة في الدين؛ لأنه مخالف للكتاب والسنة. لكن هو ما أراد البدعة، هو أراد الحق فأخطأه.

ولذلك؛ ففتح هذا الباب من التشكيك بعلماء المسلمين - سواء كانوا من السلف، أو من الخلف - فيه مخالفة لما عليه المسلمون، وربنا عزوجل يقول في القرآن

الكـــريم: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾.

وأخيراً؛ أريد أن أذكِّر بحقيقة لا خلاف فيها، لكني أريـد أن أُلحـق بهـا شـيئاً لا يفكر فيه شبابنا الناشئون في هذا العصر:

تلك الحقيقة هي: قوله عليه الصلاة والسلام في كثير من الأحاديـث: «مـن كفّـر مسلماً فقد كَفَر».

هذه حقيقة لا ريب فيهـا، ومعـروف تفـصيل هـذا الحـديث في بعـض روايـات أُخرى؛ أنه: إن كان الذي كفّره كافراً فقد أصاب، وإلّا حارتْ ورجعت عليه.

هذا ما يحتاج إلى بحث؛ لأن الحديث في ذلك صريح، لكنّـي أُريـد أن أُلحـق بـه فأقول:

«من بدّع مسلماً فإما أن يكون هذا المسلم مبتدعاً، وإلا فهو المبتدِع».

وهذا هو - الواقع - الذي قلتُه لكم آنفاً: أن شبابنا يبدعون العلماء، وهم الـذين وقعوا في البدعة، لكنهم لا يعلمون ولا يريـدون البدعـة، بـل هـم يحاربونهـا، لكـن يصدق عليهم قول من قال قديماً:

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل!

لذلك؛ نحن ننصح شبابنا أن يلتزموا العمل بالكتاب والسنة في حدود علمهـم، ولا يتطاولوا على غيرهم ممن لا يُقرَنون بهم علماً وفهماً و - ربما - صلاحاً.

فجئني اليوم في العالم الإسلامي كله بمثل هذين الـرجلين؛ النـووي وابـن حجـر العسقلاني.

ودعك من سيد قطب؛ هذا رجل نحن نُجِلُّه على جهاده، لكنه لا يزيد على كونه كان كاتباً، كان أديباً مُنْشئاً، لكنه لم يكن عالماً، فلا غرابة أن تصدر منه أشياء وأشياء وأشياء تخالف المنهج الصحيح. أما من ذُكر معه - مثل النووي، وابن حجر العسقلاني، وأمثالهم - فوالله من الظلم أن يقال عنهم إنهم من أهل البدعة.

أنا أعرف أنهما من الأشاعرة، لكنهما ما قصدوا مخالفة الكتاب والسنة، وإنما وَهِموا، وظنوا أنما وَرِثوه من العقيدة الأشعرية شيئين اثنين:

أولاً: أن الإمام الأشعري يقول ذلك، وهو لا يقول ذلك إلا قديماً؛ لأنه رجع عنه.

ثانياً: توهموه صواباً، وليس بصواب».

- السائل: «يا شيخ، هل صحيح أن السلف كان من منهجهم أن لا يحكموا على الرجل أنه من أهل السنة إلا إذا اتصف بصفات السنة، وأنه إذا ابتَدَع، أو أثنى على أهل البدع يُعَدّ منهم؟ كما كان يقول السلف - مثلاً - : من قال بأن الله ليس في السماء فهو جهمي».

- الشيخ: «يوجد شيء من ذلك، لكن لا تنس ما قلته لك آنفاً: هذا لا يعني أنه ليس مسلماً، كما أن امتناع الرسول - عليه الصلاة والسلام - من الصلاة على الذي مات وعليه دين، أو على الذي غلّ، أو على الذي قتَلَ - لا يعني أنه ليس مسلماً.

فهذا - يا أخي - من باب التأديب، كما سبق أن قلنا ذلك. هذا شيء.

شيء آخر: الآثار السلفية إذا لم تكن متظافرة متواترة فلا ينبغي أن يؤخذ عن فرد من أفرادها منهج، ثم يكون هذا المنهج خلاف ما هو معلوم عن السلف أنفسهم:

«أن المسلم لا يخرج من دائرة الإسلام بمجرد معصية أو بدعة أو ذنب يرتكبه»، فإذا وجدنا ما يخالف هذه القاعدة لجأنا إلى تأويلها بما ذكرت لك آنفاً أنه: هذا من باب التحذير والتأديب.

عندنا: الإمام البخاري، وما أدراك ما الإمام البخاري!

بعض علماء الحديث ترك الإمام البخاري ولم يرو عنه، لماذا؟

قال: لأنه فصَّل بين قول من يقول: «القرآن مخلوق»: فهذا ضال مبتدع كافر، على حسب اختلاف العلماء في تعابيرهم، وبين من قال: «لفظي بالقرآن: مخلوق».

الإمام أحمد ألحق من قال بهذه القولة : «لفظي بالقرآن : مخلوق» بالجهمية، وبناءً على ذلك حَكَمَ بعض من جاء بعد الإمام أحمد على البخاري بأنه لا يؤخذ منه؛ لأنه قال قولة الجهمية.

الجهمية لا يقولون: «لفظي - فقط - بالقرآن: مخلوق»، يقولون: «القرآن هو ليس كلام الله، إنما هو مخلوق من خلق الله عزوجل».

فماذا يقال في البخاري الذي قال كلمةَ: «لفظي بالقرآن: مخلوق»؟ والمحدِّث - ومنهم الإمام أحمد الذي - يقول: من قال هذه الكلمة فهو جهمي.

لا يمكن أن نصحح كلاً من الأمرين إلا بتأويل صحيح يتماشى مع القواعد.

وقبل أن أمضي، أنت - أظن - تفرق معي بين من يقول: «القرآن مخلوق»، وبين من يقول: «لفظي بالقرآن: مخلوق»، أليس كذلك؟».

- السائل: «بلى».

- الشيخ: «طيب، إذن؛ بماذا نجيب عن كلمة الإمام أحمد : «من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي»؟

لا جواب إلا ما ذكرته لك: تحذيراً من أن يقول المسلم قولاً يُتَّخذ ذريعة لأهل البدعة والضلالة؛ وهم الجهمية. فقد يقول قائل - لتوريط من حوله - : «لفظي بالقرآن مخلوق» وهو يعني نفس القرآن. لكن ليس ضرورياً: كل مسلم يتكلم بهذه الكلمة يكون قصده ذاك القصد السيء نفسه.

فالآن؛ الإمام البخاري هو ليس بحاجة إلى أن يُزكَّى؛ فالله عزوجل قد زكّاه حيث جعل كتابه بعد القرآن الكريم كلِّه مقبولاً عند عامة المسلمين على ما بينهم من خلاف.

فإذن؛ هو حينما قال: «لفظي بالقرآن: مخلوق» عنى شيئاً صحيحاً، لكن الإمام أحمد خاف؛ فقال: من قال كذا فهو كذا.

إذن؛ هذا من باب التحذير ، وليس من باب الإعتقاد أن من قال كذا فهو حقيقة جهمي. لا.

ولذلك؛ إذا وجدنا في بعض عبارات السلف الحكمَ على من واقع بدعة بأنه مبتدع - فهو من باب التحذير، وليس من باب الإعتقاد.

لعله يحسن ذكرُ - بالمناسبة - الأثر المعروف عن الإمام مالك لما جاءه السائل قال: يا مالك؛ الإستواء؟ قال: الإستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، أخرجوا الرجل فإنه مبتدع.

هو ما صار مبتدعاً بمجرد ما سأل عن الإستواء، لكن أراد أن يَفْهمَ شيئاً، لكن خشي الإمام مالك أن يرمي من وراء ذلك مخالَفَةً للعقيدة السلفية فقال: أخرجوا الرجل فإنه مبتدع.

أنظر؛ الآن كيف الوسائل تختلف:

هل تَرى أنت - و أنا - وبكر وعمرو وزيد إلى آخره؛ لو سألَنا واحد من عامة المسلمين أو من خاصتهم مثلَ هذا السؤال نجيبه نفس جواب مالك، ونُلحقه بتمام كلامه فنقول: «أخرجوا الرجل فإنه مبتدع»؟

لا. لماذا؟

لأن الزمن اختلف، فالوسائل التي كانت يومئذٍ مقبولة؛ اليوم ليست مقبولة، لأنها تضر أكثر مما تنفع.

وهذا الكلام له صلة بمبدأ المقاطعة المعروفة في الإسلام، أو الهجر لله:

كثيراً ما نُسأل: فلان صاحبنا وصديقنا، لكنه ما يصلي، يشرب الدخان، يفعل كذا، إلى آخره. نقاطعه؟

أقول له: لا تقاطعه؛ لأن مقاطعتك له هو الذي يريدها، مقاطعتك له ما تفيده، بالعكس؛ تسُرّه وتُخلِّيه في ضلاله.

وأذكر بهذه المناسبة مثلاً شامياً بالنسبة إلى ذاك الرجل الفاسق التارك للصلاة : تاب وراح يصلي أول صلاة في المسجد، وإذا به يجد الباب مغلقاً، قال له: أنت مُسَكَّرٌ وأنا مُبَطِّلٌ.

فهذا الفاسق الذي يريد هذا المسلم الصالح أن يقاطعه - هذا لسان حاله : «أنت مُسَكَّرٌ وأنا مُبَطَّلٌ»: الصُّحبة ما أريدها. لأن صحبة الصالح للطالح تحجُر عليه من طلاحه، وهذا الطالح لا يريدها، فإذا الصالح قاطعه فذلك ما يريده.

لذلك؛ فالمقاطعة وسيلة شرعية يراد بها تحقيق مصلحة شرعية؛ وهي تأديب المهاجَر المقاطَع ، فإذا كانت المقاطعة لا تأدبه بل تزيده ضلالاً على ضلال ؛ حينئذٍ لا ترد المقاطعة.

لذلك؛ نحن اليوم لا ينبغي أن نتشبث بالوسائل التي كان يتعاطاها السلف؛ لأنهم كانوا ينطلقون بها من موقف القوة والمنعة.

اليوم؛ انظروا إلى أوضاع المسلمين كيف هي!

ضعفاء في كل شيء، ليس فقط الحكومات، بل الأفراد. الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء. قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: ناس قليلون صالحون بين ناس كثيرين، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم.

فلو نحن فتحنا باب المقاطعة والهجر والتبديع يجب أن نعيش حينئذٍ في الجبال.

إنما نحن واجبنا اليوم: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾».

- يقول أحد الجالسين: «من تمام المسألة شيخنا - لأن هذه مسألة كما لاحظتم من المسائل التي تتردد اليوم كثيراً - أُنبّه حول شيء حتى تتم الفائدة إن شاء الله.

وهذا الشيء يذكره الإخوة الذين يتبنون هذه المسائل، يقولون:

نحن إذ نقول بعدم الترحم عنهم؛ لأن الترحم ليس بواجب، هو جائز. نحن لا نمنع ولا نحرِّم الترحم، ولكن نمتنع منه حتى لا يكون فيه نوع ثناء وتزكية ومدح لأهل البدع هؤلاء؛ الذين قد لا نقول: «إنهم مبتدعة - مثلاً - »، ونحكم عليهم بأنهم: «مبتدعة من الكبراء» ولكن - مثلاً - لا نُثني عليهم، ولا نقول: «هم أئمة». مثلاً؛ إذا ورد ذكر النووي لا نقول: «قال الإمام النووي».

بل هم يتجنبون - أحياناً - ويتحاشون النقل عنهم، والعزو إليهم. حتى بعض إخواننا في محاضرة له نقل عن بعض هؤلاء نقولاً سلفية في الحقيقة، وتُأيد المنهج، فقالوا له: «كيف أنت تنقل عن هؤلاء!» وأعني بهؤلاء - الآن - ليس من ذكرهم شيخنا بأنهم - مثلاً - ابن حجر أو النووي. ولكن نَقَلَ - مثلاً - عن سيد قطب، محمد قطب.

فقالوا: كيف تنقل عن هؤلاء! وهؤلاء معروفون أنهم ليسوا سلفيين، فأنت بصفتك سلفياً إذا نقلت عنهم فكأنك تثني عليهم، وبالتالي تقول للناس: هؤلاء سلفيون. وهذا سبيل للتغرير من الناشئة بهؤلاء؛ فلعلهم يصبحون كمثلهم في البدعة والإنحراف والبعد عن الجادة.

فإذا - شيخنا - رأيتم التعليق على هذه؟».

- الشيخ: «أنا لا أعتقد أنه : أولاً: هذا مقصدهم. وثانياً: أنه لو كان هذا مقصدهم أنه أسلوب في التوعية.

فأنا أقول: هؤلاء الذين أشرتَ إليهم؛ هل يقرأون فتح الباري، أم لا يقرأونه؟ أيها الأمرين افتُرض فهو خطأ بالنسبة إليهم.

إن قيل: «لا يقرأونه» إذن؛ من أين يفهمون صحيح البخاري شرحاً، وفقهاً، وخلافاً، ومصطلحاً، وحديثاً، و، و، إلى آخره؟

سوف لا يجدون في شروح البخاري في الدنيا كلها سلفياً - كما نريد نحن - شَرَحَ البخاري.

ثم إن وُجد مشروحاً فسيوجد بشروح هي رؤوس أقلام فقط.

أما هذا البحر الزاخر من العلم المتضمَّنِ والمفتوحِ به على صاحب الفتح فلا يجدونه في أي كتاب من الكتب التي تولت الكلام على صحيح البخاري.

إذن؛ هم سيخسرون علماً كثيراً.

فإن كانوا يضَمِّنون هذا الكلامَ تحذير الناس - في جملة ما يحذِّرون - من الإنتفاع من كلام هذا الإمام؛ خسروا العلم. مع أنهم بإمكانهم أن يجمعوا بين جلب المصلحة، ودفع المفسدة، كما هو شأن العلماء.

الآن؛ لا يوجد عالِمٍ في الدنيا من بعد العسقلاني والنووي إلى اليوم يمكنه أن يستغني عن الإستفادة من شرحيهما للبخاري ومسلم. ومع ذلك فهُمْ حينما يستفيدون من كتابيهما يعرفون أنهما في كثير من المسائل هما أشاعرة ومخالفان لمنهج السلف الصالح. فاستطاعوا - بعلمهم وليس بجهلهم - أن يأخذوا من صاحبَي هذين الكتابين من العلم ما ينفعهم، وأن يعرضوا عما يضرهم.

قصدي أن أقول: أنا أخشى ما أخشى أن يكون وراء هذا الكلام المعسولِ التحذيرُ من الإنتفاع بكتبهم، وحينئذٍ فيه خسارة.

وإذا قالوا: «لا، نحن ننتفع من كتابيهما، ونقرأهما، ونُقَرِّأهما أيضاً» حينئذٍ إيش فائدة هذا الأسلوب من الإمتناع عن الترحم وهو مسلم؟! كما قلنا في أول الكلام.

ثم؛ ما الثمرة من قولهم: «نحن لا نقول بأنه لا يجوز الترحم، لكننا لا نترحم»؟! لماذا؟ لأنهم وقعوا في البدعة؟

قد ذكرنا آنفاً: ليس كل من وقع في البدعة وقعت البدعة عليه، ليس كل من وقع في الكفر وقع الكفر عليه؛ هذا تلبَّسَه الكفرُ، وذاك تلبّسته البدعة. قد قلنا عن هذا. فإذن؛ هذا التحفظ لا فائدة منه.

ثم يا أخي، أسلفية وخلفية؟!

هل العلماء الذين ورثنا عنهم هذه الدعوة الطيبة كان موقفهم من أمثال هؤلاء الأئمة كموقف هؤلاء النشأ الناشئ الجديد ممن يدّعي السلفية؟ أولئك كانوا كهؤلاء؟!

العكس هو الصواب، ينبغي أن يكون هؤلاء كأولئك الذين سبقونا إلى هذه الدعوة الصالحة».

- سائل يقول[١]: «البعض يقول: «إن من ابتدع بدعة مكفِّرة يَخرج عن أهل السنة، ومن ابتدع بدعة مفسِّقة لا يَخرج عن أهل السنة، وحتى لو أُقيمت عليه الحجة وأصر عليها»، هل يعد من أهل السنة حينئذٍ؟».

- الشيخ: «أعد».

- السائل: «البعض يقول: إن من ابتدع بدعة مكفرة يخرج عن أهل السنة».

---

(١) (٠٣:٤٦).

- الشيخ: «أولاً: ما هي البدعة المكفرة؟ وما هي البدعة غير المكفرة؟».

- السائل: «بدعة مفسقة، وبدعة مكفرة».

- الشيخ: «ما هي؟».

- السائل: «المكفِّرة: كأن يَبتدع بدعة كفرية، مثل القول بعدم استواء الرب سبحانه وتعالى على العرش ونفي ذلك.

والبدعة المفسقة: كأن يقع في بدعة من بدع العبادات، كالمولد مثلاً».

- الشيخ: «هذا كلام غير صحيح. هذا الكلام منشأه من علم الكلام.

التفريق بين البدعة في الأصولِ، والبدعةِ في الفروع، أو البدعة في الأحكام، والبدعة في العبادات - بدعة.

أرأيت لو أن رجلاً جاء إلى سنة من سنن الرسول كسنة الفجر - مثلاً - فجعلها أربعاً، وأصر على ذلك، من أي نوع هذه البدعة؟ آلأولى المكفرة؟ أم المفسقة؟».

- السائل: «على التفصيل تكون من المفسقة».

- الشيخ: «وهذا كلام باطل.

من الأشياء التي وَرِثها الخلف عن السلف - وأعني هنا بكلمة السلف غيرَ المعنى الإصطلاحي بيننا - هو: «التفريق بين الخطأ في الفروع، والخطأ في الأصول: الخطأُ في الفروع مغتفَر، والخطأ في الأصول غير مغتفَر. والحديث المعروف صحته: (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد) هذا في الفروع»؛ هذا لا أصل له لا في الكتاب، ولا في السنة، ولا في أقوال السلف الصالح.

وما يوجد في أقوال السلف الصالح فيها ترهيب شديد عن البدعة مطلقاً، سواء كانت في العقيدة أو في العبادة.

أنا ذكَّرت آنفاً بالحقيقة: من كفّر مسلماً فهو قد كفَر. وألحقت بها: من بدّع مسلماً إلى آخره. لأنه - الحقيقة - لا فرق عندي بين كفرٍ، وبين بدعة.

لو أن مسلماً ابتدع بدعة، وتبينت له بدعته، وأصر عليها - كالمثال الذي أوردتُه لك آنفاً - فهو كما لو أنكر استواء الله على خَلْقه، أو أنكر أن القرآن من كلامه، أو، أو، إلى آخره. لا فرق بين هذا وهذا إطلاقاً؛ لا سلباً ولا إيجاباً:

إيجاباً: نقول: هذا كَفَرَ. بالشرط المذكور آنفاً؛ وأقيمت عليه الحجة.

وذاك كَفَرَ. بالشرط المذكور آنفاً؛ أي: بعد إقامة الحجة.

سلباً: أي: لا تكفير لا في هذا، ولا في هذا، إلا بالشرط المذكور.

أعود: المعتزلة والخوارج يلتقون في بعض الضلالات، ويختلفون في بعض:

مثلاً: الخوارج يلتقون مع المعتزلة في القول بأن القرآن مخلوق. تعلمُ هذا؟

طيب، وقد ذكرتُ لك آنفاً أن المحدِّثين لا يكفِّرون الخوارج.

إذن؛ كيف نجمع في ذهننا أن من أنكر عقيدة فهو كافر، أما من ابتدع بدعة في العبادة فهو فاسق؟ وها نحن نرى أئمة الحديث يروون عن الخوارج، وعن المعتزلة، مع أنهم يخالفون العقيدة الصحيحة في غير ما مسألة:

فهم مثلاً - هؤلاء الذين قالوا بأن كلام الله مخلوق - يُنكرون أيضاً رؤية الله في الآخرة. تدري هذا؟

طيب. هذا الإنكار والذي قبله ينصبّ عليهما تعريفنا السابق: هو كفرٌ. لكن ليس كل من وقع في الكُفْرِ وقع الكفرُ عليه، فكيف نوفّق حينما نجد أئمة الحديث وأئمة السلف - كابن تيمية، وابن القيم - يحكمون بضلال الخوارج والمعتزلة -ولا شك- لكنهم لا يقولون بأنهم كفار مرتدون عن دينهم؟

لأنهم يضعون احتمال أن الأمر شُبِّه لهم. أولاً.

وأن الحجة لم تقم عليهم. ثانياً.

نرجع إلى أصل موضوعنا الأول:

أنه: هؤلاء مبتدعة، لكن ما ندري هل هم قصدوا البدعة؟ هل أقيمت الحجة عليهم؟ إلى آخره.

هذا هو منهج العلماء؛ يحكمون بضلال المعتزلة، وضلال الخوارج، وضلال الأشاعرة في غير ما مسألة، لكنهم لا يكفرونهم؛ لا يخرجونهم من دائرة الإسلام، للإحتمال الذي ذكرناه آنفاً؛ وهو يعود إلى أمرين؛ أذكّر بهما:

الأول: أنهم ما قصدوا الإبتداع والمخالفة والمعاكسة.

ثانياً: أننا لا ندري أقيمت الحجة عليهم أم لا.

فإذن؛ حسابهم إلى الله، ولنا ظاهرهم؛ ظاهرهم الإسلام، وماتوا على هذا الإسلام، ودُفنوا في مقابر المسلمين. فإذن هم مسلمون.

فالتفريق - إذن - بين البدعة المكفرة، والبدعة المفسقة؛ هذا :

أولاً: تفريق اصطلاحي ناشئ من علماء الكلام.

ثانياً: لا دليل عليه إطلاقاً.

وأختم الكلام على هذه المسألة بالتذكير بحديث - يدلك على ما ذكرته آنفاً ؛ أن: «ليس كل من وقع في الكفر تلبَّسه الكفرُ ووقع الكفر عليه» - ؛ أعني به حديث البخاري من رواية صحابيين جليلين؛ وهما أبو سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان، قالا:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كان فيمن قبلكم رجل حضرته الوفاة، فجمع أولاده حوله، فقال لهم: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال: فإني مذنب مع ربي، ولئِن قَدِرَ الله عليّ ليعذبني عذاباً شديداً، فإذا أنا متّ فخذوني وحرّقوني بالنار، ثم ذرّوا نصفي في البحر، ونصفي في الريح. فمات، حرّقوه بالنار، فذرّوا نصفه في الريح، ونصفه في البحر، فقال الله عزوجل لذراته: كوني فلاناً. فكانت. قال الله عزوجل : أيْ عبدي ما حملك على ما فعلتَ؟ قال: ربي خشيتك. قال: اذهب فقد غفرت لك.

فالآن؛ نحن نتساءل: كَفَر هذا الرجل أم لم يكْفُر؟

كَفَر، لكن الله غَفَر له.

ما كَفَرَ قال[1]؟ ما كفر؟ أنا ما سمعت.

بقوله: «ولئن قدر الله عليّ» ما كفر؟».

- السائل: «بهذا القول نعم».

- الشيخ: «أنا ما حددت، قلت كَفَرَ أم لا؟

(١) كأن السائل قال : ما كَفَر.

طيب. ونحن نعلم من القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ .

كيف الجَمْعُ؟

الجمع يُفهم من الكلام السابق، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾: لا يغفر أن يُشرك به عامداً متعمداً. ما رأيك بهذا القيد؟

- السائل: «جيد».

- الشيخ: «طيب. لكن موجود في الآية؟

غير موجود.

من كيسنا أتينا به؟ لا.

هكذا الشريعة؛ لا تُؤخذ من آية، من حديث واحد، وإنما من مجموع ما جاء في المسألة.

لذلك؛ ليس فقط المسائل الفقهية : (يجب أن تُجمع كل نصوصها حتى نعرف الناسخ من المنسوخ، والخاصّ من العام، والمطلق من المقيد و، و، إلى آخره) بل العقيدة أولى من ذلك بكثير.

فحينما يشرح العلماء هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ .. ﴾ عادة لا يتعرضون لمثل هذه التفاصيل؛ لأن الأمر - فيما يبدو لهم - واضح؛ ما يحتاج إلى مثل هذا التفصيل، لكن حينما تأتي الإشكالات والشبهات فهنا يضطر العالم أن يبين ما عنده من العلم.

فهذا الرجل الذي أوصى بوصية لا يُتصور أنها - في الجور والظلم والضلالة - يمكن أن يكون لها مِثْل؛ يحرِّقوه في النار حتى يَضِلَّ على ربه! والله يقول: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ، مع ذلك ربنا غفر له. لماذا؟

لأن الكفر ما انعقد في قلب هذا الإنسان، وإنما تصوّر ذنوبَه مع الله عزوجل، وخوفَه منه، وأن الله عزوجل إذا وصل إليه سيعذبه عذاباً شديداً. هذه الرهبةُ والخشيةُ أعمت عليه العقيدةَ الصحيحة؛ فأمر بهذه الوصية الجائرة. والحديث واضح: «اذهب فقد غفرت لك».

إذن؛ ما ينبغي نحن أن نتصور: (أنه: سيد قطب وقع في وحدة الوجود مثلاً - كما نعتقد - وهو قَصَدها وعقد القلب عليها مثل ابن عربي الذي أضل ملايين من المسلمين الصوفيين إلى آخره). ربما هذه سانحة فكرية صوفية وهو سجين خطرت في باله، وما أحاط بالمسألة علماً، فكتب تلك العبارة التي كنتُ أنا من أول من انتقدها.

ما نحكم عليه بالكفر؛ لأننا ما ندري هل انعقد الكفر في قلبه؟ ثم هل أقيمت الحجة عليه؟ وبخاصة وهو في سجنه، أنَّى له ذلك!

لهذا؛ لا نربط بين كون المسلم وقع في الكفر، وبين كون هو كافر؛ لا نربط بين الأمرين. هذا أولاً. وقد تكرر هذا تحذيراً.

ثانياً: لا نفرق بين البدعة في العقيدة، وبين البدعة في العبادة؛ كلاهما إما : ضلال. وإما : كفرٌ».

- السائل: «هل يجوز الثناء على أهل البدع، وإن ادّعوا خدمة الإسلام، وأنهم يسعون وراء ذلك، كالترابي ومن على شاكلته؟».

- الشيخ: «الجواب؛ يختلف باختلاف المقاصد:

إذا كان المقصود بالثناء على مسلم نظنه مبتدعاً، ولا نقول إنه مبتدع - بعد تلك المحاضرة الطويلة نفرق بين الأمرين إن شاء الله - هو الدفاع عنه تجاه الكفار فهذا واجب.

أما إذا كان المقصود بالثناء عليه هو تزيين منهجه، ودعوة الناس إليه ففيه تضليل لا يجوز».

- السائل: «وهل صحيح ما نسمعه من أن هجر المبتدعة في هذا الزمان لا يُطبَّق؟».

- الشيخ: «هو يريد أن يقول لا يحسُن أن يُطبَّق. وكأن السائل يعنيني أول ما يعنيني.

نعم؛ هو كذلك: لا يحسُن أن يُطبَّق؛ لأن المبتدعة والفساق والفجار هم الغالبون. وقد قلتُ هذا صراحة - آنفاً - حينما ضربتُ المثل الشامِي : أنت مُسَكَّرٌ وأنا مبطِّلٌ».

- السائل: «لكن - مثلاً - إذا وُجدت بيئة، الغالب في هذه البيئة أهل السنة، ثم وُجدت في نفس البيئة بعض النوابت ابتدعوا في دين الله عزوجل. ففي هذه الحالة يُطبَّق أم لا يُطبَّق؟».

- الشيخ[1]: «يجب هنا استعمال الحكمة:

هذه الفئة الظاهرة القوية؛ إذا قاطعت الفئة المنحرفة عن الجماعة - يعود الكلام السابق: - هل ذلك ينفع الطائفة المتمسكة بالحق، أم يضرها؟ هذا من جهتهم.

ثم هل ينفع المقاطَعين والمهجورين من الطائفة المنصورة، أم يضرهم؟

سبق الجواب في ذلك.

يعني: لا ينبغي أن نأخذ مثل هذه الأمور بالحماس والعاطفة، وإنما بالروية والأناة والحكمة.

نحن - مثلاً - هنا شذّ واحد من هؤلاء؛ خالف الجماعة : «آه! يا غيرة الله، هذا قاطعوه».

لا؛ ترفقوا به، انصحوه، أرشدوه، إلى آخره، صاحبوه مدة، فإذا يُئس منه أولاً، ثم خُشي أن تسري عَدواه إلى زيد وبكر ثانياً؛ حينئذٍ يقاطَع إذا غلب على الرأي أن المقاطعة هي العلاج، وكما يقال: آخر الدواء الكيّ.

أنا بصورة عامة لا أنصح اليوم باستعمال علاج المقاطعة أبداً؛ لأنه يضر أكثر مما ينفع، وأكبر دليل:

الفتنة القائمة الآن في الحجاز؛ كلهم تجمعهم دعوة التوحيد، ودعوة الكتاب والسنة، لكن لأن لبعضهم نشاطاً خاصاً إما في السياسة، وإما في بعض الأفكار التي لا تُعرف من قبلُ عن أحد من أهل العلم، وقد يكون خطأً، وقد يكون صواباً؛ فلا

---

(١) (٠١:٠٢:٣١).

نتحمل أي شيءٍ نسمعه من جديد - وبخاصة إذا كان أمراً نُكراً فيما يبدو لنا بادي الرأي - رأساً نحاربه. هذا خطأ يا أخي، هذا خطأ. يعني:

تريد صديقاً لا عيب فيه وهل عود يفوح بلا دخان؟!

نحن نتمنى أن يكون الإخوان المسلمون معنا فقط على التوحيد حتى نكون معهم، هم غير راضين أن يكونوا معنا حتى بالعقيدة، ويقولون: إثارة الخلافات هذه تفرِّق الصف، تفرق الجمع، إلى آخره.

هؤلاء الإخوة - الذين انقسمت عنهم الجماعة، أو هم انقسموا عن الجماعة، والله أعلم - : معنا على طول الخط في الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، لكن جاءوا بشيء جديد فعلاً؛ بعضه خطأ، بعضه صواب، فلماذا ننشر بين بعضنا البعض الآن الفُرقة والتحزب والتعصبَ؟! فبينما كنا كتلة صرنا كتلتين، صرنا كتلتين صاروا ثلاثة، صاروا سَفَرِيّين، صاروا سُروريين، إلى آخره.

الله أكبر! وما فرَّق بينهم شيء يستحق التفريق، ما يوجد خلاف في الأمور العظائم التي لا يمكن أن يُتصور أن السلفيين يختلفون فيها.

نحن نعلم جميعاً أن الصحابة اختلفوا في بعض المسائل، لكن المنهج كان واحداً.

ولذلك؛ فإذا أنت تصورت أن جماعة من أهل السنة والجماعة ومن الطائفة المنصورة شَذَّ منهم أفراد؛ نأخذهم بالرفق واللين - يا أخي - ونحاول أن نحتفظ بهم مع الجماعة، ولا نقاطعهم ولا نهجرهم، إلا إذا خشينا منهم خشية. وهذه لا تظهر فوراً، يعني: بمجرد أن أظهر واحدٌ رأياً نشَزَ فيه وشَرَدَ عن الجماعة ما ينبغي

فوراً أن نقاطعه ونهجره، وإنما نتريّث حتى لعل الله عزوجل يهدي قلبه، أو يتبين لنا أن فصله هو الأولى».

- السائل[1]: «هل يلزم غير إقامة الحجة في الحكم على الكافر بأنه كافر، والمبتدع بأنه مبتدع، والفاسقِ بأنه فاسق؛ كالإقتناع وإزالة الشبهة؟».

- الشيخ: «لا، لا يلزم، لكن الذي يلزم هو العلم الذي يقيم الحجة، أي: هو وارث رسول الله ﷺ، وليس كل فرد من الأفراد».

- سائل: «هل الإخوان والتبليغ من الفِرَق التي أخبر عنها النبي ﷺ؟».

- الشيخ: «لا، لا، الإخوان المسلمون فيهم من جميع الطوائف، فيهم سلفيون، فيهم خلفيون، فيهم شيعة، فيهم كذا وكذا، فلا يصح أن يُطْلَق عليهم صفة واحدة، وإنما نقول:

من تبنَّى منهجاً خلاف الكتاب والسنة من أفرادهم فهو ليس من الفرقة الناجية، بل هو من الفرقة الهالكة.

أما جماعة: والله أنا أقول: السلفيون أنا ما أقول عنهم أنهم من الفرقة الناجية، السلفيون، إيش رأيكم؟».

- أحد الجالسين: «ولا نقول منهج السلف».

- الشيخ: «إي، طبعاً».

---

(١) (٠١:٠٧:٠٤).

- السائل: - أو أحد الجالسين - : «الحكم على الأفراد».

- الشيخ: «الحكم على الأفراد. أحسنت».



- يسأل الشيخَ سائل من السعودية فيقول[1]: «هناك بعض القواعد - يا شيخ - يعمل بها بعض الشباب، ومن ضمنها قاعدة:

«من لم يكفر الكافر فهو كافر».

ثم: «من لم يُبدِّع المبتدع فهو مبتدِع».

وقاعدة أخرى: «من لم يكن معنا فهو ضدنا».

ما رأيك في هذه القواعد يا شيخ؟».

- الشيخ[2]: «ومن أين جاءت هذه القواعد؟! ومن قَعَّدها؟!

هذا يذكّرني بنكتة تروى في بلادنا الأصيلة ألبانيا، حكاها في بعض المجالس والدي رحمه الله. القصة تقول:

بأن رجلاً عالماً زار صديقاً له في بيته، ثم لما خرج من عنده كفّره، قيل له: لم؟

عندنا عادة في بلادنا، وهي عادة أظن مطردة في بلاد الأعاجم؛ يوقِّرون العلماء في بعض الأعراف والتقاليد التي تختلف باختلاف البلاد؛ منها : الرجل - مثلاً - دخل الغرفة، ونزل عليه، فهو حين يخرج ينبغي أن يُدار النعل بحيث أن العالم لا يتكلف أن يلفَّ ويدور كأنه داخل، وإنما يجد النعل مهيأً لدكِّ قَدَمَيه فيه.

فهذا العالم لما زار صديقه وخرج وجد النعلين كما هما؛ يعني ما احترم الشيخ، تركهما كما هما، فقال الرجل العالم: إن هذا كفَر. لماذا؟ لأنه لم يحترم العالم، والذي لا

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ٧٧٨): (٣٦:١٠) : تسجيل سنة : ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

(٢) (٥٩:١٠).

يحترم العالم لا يحترم العلم، والذي لا يحترم العلم، لا يحترم من جاء بالعلم، والذي جاء بالعلم هو محمد عليه الصلاة والسلام. وهكذا سلْسلَها إلى جبريل، إلى رب العالمين. فإذن هو كافر.

هذه القاعدة ذكَّرتني بهذه الخرافة.

ليس شرطاً أبداً أن من كفَّرَ شخصاً وأقام عليه الحجة أن يكون كل الناس معه في التكفير، لأنه قد يكون هو متأوِّلاً ويرى العالم الآخر أنه لا يجوز تكفيره.

كذلك التفسيق، والتبديع.

فهذه - الحقيقة - من فتن العصر الحاضر، ومن تسرُّع بعض الشباب في ادعاء العلم.

فالمقصود أن هذا التسلسل، أو هذا الإلزام غير لازم أبداً.

هذا باب واسع؛ قد يرى عالم أمراً واجباً، ويراه الآخَر ليس كذلك.

وما اختلف العلماء من قبل ومن بعد إلا لأن باب الإجتهاد لا يُلزم الآخَرين بأن يأخذوا برأيه.

الذي يوجب الأخذ برأي الآخر إنما هو المقلِّد الذي لا علم عنده، فهو الذي يجب عليه أن يُقلِّد.

أما من كان عالماً كالذي كَفَّر، أو فسَّق، أو بدَّعَ، ولا يرى مثل رأيه فلا يَلزَمُهُ أبداً أن يتابع ذلك العالم.

وهذا - في الظاهر - مصيبة، لأنها إن شاء الله ما انتشرت بعدُ من بلادكم إلى بلاد أخرى».

- السائل: «والله - يا شيخ - هي موجودة في بلادنا؛ قضية التبديع، وقضية ال ».

- الشيخ: «أما جماعة التكفير فهم جماعة معروفون أنها بدأت من مصر، وكانت لهم كتلة هنا في عمّان قبل استيطاني لها، أي: قبل نحو أربعة عشرة سنة تقريباً. لكن الله عزوجل هداهم واستقاموا معنا على السنة.

وكذلك كان بعضهم جاء إلى دمشق قبل مجيئي إلى هنا، وحاولوا أيضاً أن ينشروا فكرة التكفير، لكن - أيضاً - ربنا ما وفقهم والحمد لله، ورجعوا بخُفَّي حُنَين.

أما الضلالة هذه فلا تزال في مصر قائمة، وأخشى أن يكون قد ورد إليكم شيء منها إلى بعض طلاب العلم. والله المستعان».

- السائل[1]: «هناك بعض المسائل - يا شيخ - اختلف فيها أهل العلم عندنا:

فمنهم من يقول ببدعيتها.

ومنهم من يقول بجوازها.

وبعض الشباب مقلِّدة، فلثقته بالعالم الذي قال بالجواز أخذ بهذه المسألة. فهل يجوز - يا شيخ - الحكم على هذا الشخص بالطعن في منهجه، أو تبديعه من أجل فعله هذا؟

والمثال عليها: مسألة التمثيل؛ الشيخ محمد بن عثيمين - طبعاً وضع بعض الشروط (..)[2] - يقول بجوازها، والشيخ عبد الله بن جبرين.

---

(١) (١٦:١٦).

(٢) لفظة غير واضحة.

بعض المشايخ: الشيخ بكر أبو زيد، الشيخ ربيع بن هادي يقول ببدعيتها.

ما رأيك يا شيخ؟

... سؤالي: الحكم على الشخص الذي أخذ بقول الشيخ الذي قال بالإباحة وبجواز فعل هذا الشيء؟

والمثال: مسألة التمثيل؛ كوني أنا أرى أن التمثيل بدعة، والشخص هذا أخذ بقول - مثلاً - أحد المشايخ الكبار الذي يقول بالجواز. هل لي أن أطعن في منهج هذا الشخص؛ حيث أني أقول: هذا منهج الإخوان المسلمين في هذه المسألة. أو أني أبدع الشخص لأنه أخذ بهذه المسألة؟ علماً أن الشخص مقلِّد يا شيخ».

- الشيخ[1]: «هل يجوز للعالم أن يقول شيئاً لمن خالفه في رأيه؟».

- السائل: «لا».

- الشيخ: «فهناك لا من باب أولى»[2].

---

(١) (١٩:٤٤).

(٢) ويقول - في: «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ٧٩٩) : (٣٧:٢٥) - : «نحن نعلم أنهم [أي: السلف الصالح] قد اختلفوا في كثير من المسائل، لكن ما كان هذا الإختلاف سبباً لأن يتفرقوا ويعادي بعضهم بعضاً.

هناك بعض الأقوال التي صحت عن بعض السلف الصالح لو تبناها شخص اليوم خطأً - لأنها لا وجه لها من الصواب - لقامت القيامة ضده، لكن لم تقم القيامة ضد ذلك الصحابي الذي شذ في رأي ما؛ في حكم ما عن الحكم الذي يتبناه الآخرون:

فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ينهى أن يحج الحاج متمتعاً، وسلك سبيله في هذا النهي من بعده عثمان بن عفان رضي الله عنهما جميعاً.

ولما حج عثمان في عهد خلافته؛ أيضاً نهى الحجاج معه أن يتمتعوا بالعمرة إلى الحج، ووقف في وجهه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه - وهو فرد من أفراد الأمة، وهو الخليفة من بعده - قال له: «مَا لَكَ تنهى عن شيء فعلناه في عهد رسول الله ﷺ: لبيك اللهم بعمرة وحج»، ذاك ينهى عن التمتع بالعمرة إلى الحج، وهذا يعلنها في وجهه أنه هكذا السنة.

مع ذلك ما تفرق الشعب من بينهم، وإنما ظلوا يحترمون رأي كل واحد، وقد يميلون لرأي الخليفة؛ لأنه خليفة المسلمين، إلى آخره. لماذا؟

لأن الخلاف إذا نشب بين العلماء فينبغي أن يبقى محصوراً بينهم، ولا ينتقل عدوى هذا الخلاف إلى الشعب؛ لأن الشعب ليس عنده من الرصانة والحصافة والفكر بحيث أنه يمنعه من أن يشتط في الخلاف.

كذلك - مثلاً - كان عثمان بن عفان يرى بأن الرجل إذا جامع زوجته ولم يُمْنِ فيكفيه الوضوء دون الغسل. مع أن هذا مخالف للحديث الصحيح الصريح: «إذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل أنزل أو لم ينزل»، مع ذلك ما صارت هناك فتنة، ولا صار خلاف بينه وبين عائشة - مثلاً - التي هي تروي الحديث المخالف لقول عثمان رضي الله تعالى عنه.

وأغرب من ذلك كله - والمسائل كثيرة، وإنما المقصود التمثيل والتقريب - أن عمر بن الخطاب كان ينهى الرجل المسافر الذي لا يجد الماء أن يتيمم، وإنما يظل هكذا بدون صلاة حتى يجد الماء، مع أن الآية - أولاً - في ظاهرها صريحة الدلالة: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ .

وبلغ عمرَ بن الخطاب أن أبا موسى الأشعري كان يفتي - في زمن عمر - بظاهر الآية؛ أن المسافر إذا لم يجد الماء تيمم، فأرسل خلفه، قال: بلغني أنك تقول كذا وكذا. قال له: نعم يا أمير المؤمنين، ألا تذكر أننا كنا في سفر، وأننا أجنبنا فتمرّغتَ أنت وأنا بالتراب، ولما جئنا إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - وأخبرناه الخبر قال: إنما كان يكفيك أن تضرب بكفيك الأرض ضربة واحدة وتمسح بهما وجهك وكفيك.

- سائل: «يا شيخ، توجد ردود الآن في الساحة على طلاب العلم وعلى العلماء، والشيء الملاحَظ في هذه الردود اتهام النيات».

- الشيخ: «إي والله».

المقصود : ألا تذكر أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - قال: إنما كان يكفيك أن تضرب ضربة واحدة وتمسح بهما وجهك وكفيك؟ قال: لا أذكر. قال: هل أمتنع عن الفتوى؟ قال: لا، إنما نوليك ما توليتَ. يعني - كما يقولون اليوم - : على مسؤوليتك؛ على ذمتك، أنا ما أذكر القصة هذه.

إنسان! لست أنت فقط تنسى، هذا أمير المؤمنين نسي..

المهم؛ كل هذا الخلاف وأكثر بكثير جداً ما كان سبباً لتفريق الأمة المسلمة؛ لأن العلم يأخذ مجراه، والأمة تبقى وراء علمائها؛ من اقتنع بهذا الرأي فهو على هدى، ومن اقتنع بذاك الرأي فهو على هدى؛ لأننا نقول نحن كلمة بهذه المناسبة ينبغي أن تُسَجَّلَ وأن تُنشَرَ أيضاً:

كما أن المجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، كذلك الذي يتبع المجتهد؛ حكمه حكم المجتهد:

أي: الذي يتبع رأياً صواباً أصاب الإمام المجتهد فله أجران، فهذا الذي اتبعه على هذا الصواب فهو مأجور - أيضاً - أجرين، طبعاً الأجر متفاوت، لكن أجران.

أما الذي اتبع إماماً آخر وكان مخطأً فهو مأجور أجراً واحداً، كذلك الذي اتبعه فهو مأجور أجراً واحداً.

فإذا وقع الخلاف بين العلماء؛ فما ينبغي أن يكون هذا الخلاف سبب فرقة بينهم. أولاً.

وما ينبغي أن يكون سبب فرقة بين الشعب. ثانياً.

لأنهم جميعاً مأجورون؛ سواء من كان مصيباً، أو من كان مخطأً.

هكذا كان سلفنا الصالح».

- السائل: «ما ردكم على هذا؟».

- الشيخ: «إيش ردنا في هذا؟ أن يتقوا الله في إخوانهم المسلمين، وأن يصفّوا نواياهم وقلوبهم، وأن لا يحقد بعضهم على بعض؛ «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً، كما أمركم الله»».

نحن نقول - يا أستاذ - دائماً وأبداً:

مشكلة العالم الإسلامي الآن هي بعدهم عن شيئين اثنين، لكن أحدهما أخذ الطريق، أما الآخر فلا.

لا بد أنكم سمعتم في بعض الأشرطة وكلماتي أن الإصلاح يبدأ من (التصفية، والتربية).

فالتصفية يوجد شيء منها.

لكن التربية ما توجد في العالم الإسلامي.

فهذه هي المشكلة.

تجد طلاب العلم الذين يفترض فيهم أن يكونوا على أكمل خُلُق حَسَنٍ؛ ما حَوَوا إلا شيئاً من العلم كان حجة عليهم وليس حجة لهم.

فما الحل؟

ليس لها إلا الله تبارك وتعالى.

ومن كان حريصاً من أهل العلم على أن يمشي على هاتين الركيزتين (التصفية، والتربية)؛ فعليه أن يُنشِّئَ من حوله على هذا الأساس منذ نعومة أظفارهم، حتى إذا كبروا ونشأوا نشأوا على العلم الصحيح والتربية الصحيحة.

أما هؤلاء الكبار الذين فاؤوا إلى وجوب (التصفية) وأخذوا منها بحظ وافر، أو قريب منه؛ فنادرٌ جداً فيهم من هو قد صفّى نفسه من الأخلاق السيئة.

الحسد والحقد - والعياذ بالله - اليوم أمر ظاهر جداً؛ حتى من بعض الخاصة.

حتى أجد نفسي مضطراً أحياناً أن أقول بظاهر قوله تعالى - وحين أقول: «بظاهر» أعني ما أقول - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾.

قلت: «ظاهر»؛ لأن ظاهر الآية ليس هناك أمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن تعرفون حديث أبي بكر الصديق حينما أنكر على بعض الناس، وذكر لهم أنهم يتأولونها على غير تأويلها، وذَكَرَ الحديث الذي يأمر المسلمين بأن يأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر.

فالظاهرة المنتشرة الآن في الآونة الأخيرة في السعودية - وقبل ذلك في كثير من البلاد الإسلامية - ليس لها في الحقيقة علاج إلا بالأخذ بالأسباب الممكنة، واللجأ إلى الله عزوجل أن يصلح أحوال المسلمين.

وإلا؛ فليس هناك مطلقاً ما يُسَوِّغ للدعاة إلى الكتاب والسنة - الذين ينتمون إلى منهج السلف الصالح - ولا وَجْهَ أن ينقسموا إلى طائفتين، بل إلى طوائف يعادي بعضهم بعضاً كما لو كان هناك سلفيون وأعدائهم صوفيون، وهم طائفة واحدة؛ كلهم يقول: أنا على الكتاب والسنة...».

- السائل[1]: «زين، الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية؟».

---

(١) (٥٩:٢٦).

- الشيخ: «لا أرى أن تدخل في هذا الموضوع ؛ لأن البحث في هذا الموضوع من الأسباب التي توجد الفُرقة بين السلفيين.

هل هذه المسألة لها علاقة بالعقيدة؟ لا.

هل لها علاقة بالأحكام الشرعية؟ لا.

بماذا علاقتها؟ بالفتنة القائمة.

فاصرف ذهنك عنها، وبالتعبير السلفي: امض».



- يسأل الشيخَ سائل من الجزائر فيقول[1]: «هل تنصح الدعاة السلفيين أن يردوا عليهم من فوق المنابر للمخالفات الشرعية؟».

- الشيخ: «نعم، للمخالفات؛ لابد[2]، لكن بالتي هي أحسن، ليس حرباً كما هي طبيعة الجزائريين، لا، بالتأني والرفق واللين، لأن هؤلاء وغيرهم يجب أن نعتبرهم مرضى، والمريض يحتاج إلى لين ورفق متناهيين».

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٤٠٢) : (٣٠:٣١).

(٢) ويقول في سيد قطب - في: « برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٨١٤) : (٤٠:٠٤) : تسجيل سنة: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م - : «نعم، يُردّ عليه، لكن بهدوء، وليس بحماس.

يُرَدّ عليه، وهذا واجب. ليس الرد على المخطئ محصوراً بشخص أو أشخاص:

كل من أخطأ في توجيه الإسلام بمفاهيم مبتدعة وحديثة، ولا أصول لها في الكتاب ولا في السنة ولا في سلفنا الصالح والأئمة الأربعة المُتَّبَعين؛ فهذا ينبغي أن يُردَّ عليه.

لكن هذا لا يعني أن نعاديه، وأن ننسى أن له شيئاً من الحسنات؛ يكفي أنه رجل مسلم؛ ورجل كاتب إسلامي - على حسب مفهوم الإسلام كما قلتُ أوّلاً - ، وأنه قُتِل في سبيل دعوته للإسلام، والذين قتلوه هم أعداء الإسلام.

أما أنه كان منحرفاً في كثير أو قليل عن الإسلام؛ فأنا في اعتقادي قبل ما تثور هذه الثورة ضده أنا الذي قوطعت من جماعة الإخوان المسلمين هنا بزعم أنني كفّرت سيد قطب، وأنا الذي دللت بعض الناس على أنه يقول بوحدة الوجود في بعض كتاباته في نفس التفسير.

لكن في الوقت نفسه أنا لا أنكر عليه أنه كان مسلماً، وكان غيوراً على الإسلام وعلى الشباب المسلم، وكان يريد إقامة الإسلام ودولة الإسلام. لكن الحقيقة:

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل!».

- يسأل الشيخَ سائل فيقول[1]: «إن كثيراً من الشباب قد وقعوا في المشايخ».

- الشيخ: «هذا صحيح».

- السائل: «فما نصيحتكم لهؤلاء؟».

- الشيخ: «إخواننا سمعوا الجواب عن مثل هذا السؤال؛ وهو أنه:

لا يجوز لهؤلاء الشباب أن ينالوا من أهل العلم الذين لهم قدم صدق في العلم؛ لأنهم أخطأوا في وجهة نظر هؤلاء الشباب، علماً أن هؤلاء الشباب حينما يُخَطِّئون أولئك العلماء لا ينطلقون من علم، وإنما ينطلقون من عاطفة، ولذلك فإن أعجبهم فتوى زيد من العلماء فسيوجد في الطرف الآخر - الذين يتحمسون للعلماء المخالفين لذلك العالم - من أيضاً سيقفون نفس الموقف بالنسبة لهذا الشيخ الذي هم معجبون بفتواه وبرأيه.

ولذلك فنحن ننصح الشباب أن لا يتدخلوا في مثل هذه المسائل، والطعن والغمز واللمز في العلماء الذين يرون أنهم أخطأوا.

نحن بلغنا أن بعضهم وصل به أن يطلق كلمة الكفر - والعياذ بالله - على بعض العلماء الذين نجلهم ونُكبرهم ونحترمهم كل الإحترام.

وهذا سببه كله هو انطلاق الناس - كما قلنا آنفاً، سواء أصابوا أم أخطأوا - ليس من علم وفكر، وإنما من عاطفة جامحة؛ هؤلاء يتعصبون للفتوى الفلانية،

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٥١١) : (٢٢:٤٦) : تسجيل سنة : ١٤١٢ هـ.

وهؤلاء يتعصبون للفتوى الأخرى المخالفة للأولى، وهكذا. ويكون ذلك سبباً للزيادة في اشتعال النار والخلاف بين المسلمين.

ولذلك؛ فنحن أنكرنا على هؤلاء الشباب - ولو كانوا معنا مَثَلاً في الرأي - أن يطعنوا في الآخرين من العلماء الذين لهم رأيهم واجتهادهم».

- السائل[1]: «كيف تكون معاملة المخالف بين المتساهلين، وتساهلهم هذا يؤدي إلى تمييع الشخصية السنية، وبين المتشددين، وتشددهم هذا قد يؤدي إلى ما سمعناكم تذكرونه كثيراً من عدم إقامة الحجة على المخالف وغير ذلك - وأقول هذا كذلك حتى لا أتعبكم بتكرار ما ذكرتموه. جزاكم الله خيراً.

لكن تقوم بعض الشُّبَهِ من أفعال السلف؛ كمثل قول بعضهم:

القلوب ضعيفة، والشبه خطّافة: عند مجالسة المبتدعة.

وكذلك تنفير الإمام أحمد - رحمه الله - من الحارث المحاسبي».

- أحد الجالسين: «نهى عن قراءة كتبه».

- الشيخ: «إي نعم».

- السائل: «- وبين معاملة هذا المخالف على ميزان حسناته وسيئاته. هنا قاعدة تقول: انظر في حسناته وسيئاته.

وثَمَّ كلام لبعض السلف في التنفير من المبتدعة، وإن كانت لهم حسنات».

---

(١) (٠٢:٤٩).

- الشيخ[1]: «الذي أراه - والله أعلم - أن كلام السلف يَرِدُ في الجو السلفي؛ يعني: في الجو العامر بالإيمان القوي، والإتباع الصحيح للنبي ﷺ والصحابة، هو تماماً كالمقاطعة؛ مقاطعةِ المسلم للمسلم تربية وتأديباً له. هذه سنة معروفة، لكن في اعتقادي - وكثيرا ما سُئلت؛ أقول: - زمننا لا يصلح للمقاطعة.

زمننا - إذن - لا يصلح لمقاطعة المبتدعة؛ لأن معنى ذلك أن تعيش على رأس الجبل؛ أن تنزوي عن الناس وتعتزلهم.

ذلك لأنك حينما تقاطع الناس؛ إما لفسقهم، أو لبدعتهم، فلا يكون لك ذلك الأثر الذي كان يكون له يوم كان أولئك السلف الذين تكلموا بتلك الكلمات وحضوا الناس على مجانبة أهل البدع. ذلك بلا شك أمر مستقى من توجيهات الرسول ﷺ التي منها - مثلاً - حديثه المشهور: «مثل الجليس الصالح، ومثل الجليس السوء» الحديث معروف. فهذا الحديث يعطينا ما يقوله بعض البلاد كمثَلٍ: «الصاحب ساحب».

لكن؛ مجالسة المبتدعة ومصاحبتهم والإستفادة منهم شيء، والصلاة خلفهم شيء؛ حتى مما يكثر السؤال عنه: فلان - مثلاً - صوفي؛ يتوسل بالأنبياء والرسل، إلى آخره، وهو يؤم الناس، فهل أصلي خلفه، أم لا؟ أقول: صل خلفه.

وأظن أنه يؤيدني في هذا التفريق، ويلتقي مع توجيه السلف في بعض تلك الكلمات التي ذكرتَها آنفاً أنه وصل إلينا أن من عقيدة السلف الصالح الصلاةَ وراء كل برٍّ وفاجر، والصلاة على كل برٍّ وفاجر.

---

(١) (١١:٥٠).

فالآن؛ يكون من التشدد أن نتخذ هذه الكلمات في تنفير الناس من الصلاة وراء هؤلاء الأئمة الذين قَلَّ من يكون فيهم على السنة، فتكون العاقبة أن يلزموا بيوتهم، وحوانيتهم، ويعطلوا جماعة المسلمين. فهذا ينافي قولهم بأنه من العقيدة أن تصلِّي وراء كلِّ بَرٍّ وفاجر.

ولكن؛ يكون صواباً أن نحذر هؤلاء من مخالطة أهل البدعة، وأهل التصوف؛ لما ذكرناه آنفاً من الحديث، والمَثَلِ - الذي هو خلاصة الحديث - : «الصاحب ساحب».

هذا رأيي. والله أعلم».

- أحد الجالسين: «شيخنا يليق بالمقام أيضاً : ما سُألتم عنه أكثر من مرة؛ وهو الإستفادة من أهل البدع من حيث العلم، فكنتم تفرّقون، شيخنا».

- الشيخ: «إي نعم، يوجد - مثلاً - بعض المبتدعة عندهم علم بقراءة القرآن، والتجويد، والقراءات، ونحو ذلك.

عندهم معرفة بعلم النحو، والصرف، ونحو ذلك.

عندهم معرفة بعلم أصول الفقه، أو أصول الحديث. وإن كانوا لا يطبقونها.

ولا يوجد حوالي السنّي الحريص على اتباع السنة من يتعلم منه بعض هذه العلوم، فلا مانع أن يتلقى هذا العلم أو ذاك منه، لكن بشرط أن يكون حذراً من بدعته. هكذا نقول».

❋ ❋ ❋ ❋

- يسأل الشيخَ سائل فيقول[١]: «طالب علم؛ لقي شيخاً - مثلاً - أشعرياً أو شيئاً مثل هذا، وهو مبتدئ، يريد أن يدرس عليه النحو، أو الصرف. هل يجوز له هذا؟».

- الشيخ: «إذا كان هو متمكناً في العقيدة جاز، وإلا فلا».

❋ ❋ ❋ ❋

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ٧٩) : (١٢:٣٧).

- يسأل الشيخَ سائل فيقول[١]: «هل كان للإمام الغزالي دور في التلاعب بالألفاظ والتحريف، أم أن التحريف جاء فيها بعد؟ وكيف؟».

- الشيخ: «نحن ما نقول في الغزالي أنه كان له دور في التلاعب، لكننا نقول: إن الإمام الغزالي كان يغلب عليه التمذهب بالمذهب الأشعري.

والأشاعرة ابتُلوا بشيء من تأويل نصوص الكتاب والسنة. ولمّا كان الغزّالي على منهج الأشاعرة فهو يتأول كثيراً من هذه النصوص في بعض كتبه، ومنها الكتاب المشهور بالإحياء.

ورأينا في كل الطوائف، وكل الجماعات التي تخالف منهج الكتاب والسنة المخالف لمنهج السلف الصالح؛ أنهم منحرفون عن الإسلام. لكن الله عزوجل يحاسب كلاً منهم على ما عَلِم مما وَقَر في نفسه:

إن - لا سمح الله - أراد الكيد بالإسلام فله حسابه.

وإن حاول أن يتفهم الإسلام فهماً صحيحاً، ثم أخطأه؛ فله - كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث المشهور - «أجر واحد» : «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد».

نحن لا نفرق - حقيقة - بين الإجتهاد في الفروع، والإجتهاد في الأصول، خلافاً لبعض علماء الأصول الذين يقولون: «الإجتهاد في الأصول لا يجوز»، فهذا خطأ:

أولاً: لأن الرسول - عليه الصلاة والسلام - قد أطلق الحكم السابق في الحديث : «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران» لم يقل: في الفروع دون

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:١٧) : (٠٨: ٢٠).

الأصول، ولا في الأصول دون الفروع. وإنما شَمَل بكلامه الناحيتين؛ الأصول والفروع.

ثانياً: نعتقد أن الخطأ لا يمكن أن يُعصم منه الإنسان حتى في العقيدة.

وخذوا مَثَلاً رائعاً جداً لكون الإنسان قد يخطئ في العقيدة، ومع ذلك فالله عزوجل يغفر له؛ لأنه عَلِمَ أن خطأه لم يكن كيداً للشريعة، وطعناً في الدين، وإنما كان لسبب يُعذر فيه عند رب العالمين تبارك وتعالى؛ أعني بذاك المثالِ قولَه عليه الصلاة والسلام:

كان فيمن قبلكم رجل؛ لم يعمل خيراً قط، فلما حضرته الوفاة جمع أولاده حوله، فقال لهم: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال: فإني مذنب مع ربي، ولَئِن قدِر الله عليّ ليعذِّبنّي عذاباً شديداً - لا شك هذا كفَرَ، وشمله قول الله عزوجل: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ إلى آخر الآية. هذا الرجل قال: «ولئن قدِر الله علي ليعذبني عذاباً شديداً - فإذا أنا مِتّ فخذوني وحرِّقوني بالنار، ثم ذرّوا نصفي في الريح، ونصفي في البحر، مات الرجل، فحرقوه بالنار، ثم أخذوا نصفه فرَمَوه في الريح العاصف، والنصف الثاني في البحر المائج. فقال الله عزوجل لذرّاته: كوني فلاناً. فكان بشراً سويّاً. قال الله عزوجل: أي عبدي، ما حملك على ما فعلتَ؟ قال: ربي خشيتك - أنا خفت منك. لسان حاله يقول: أنا معترف بأني شر إنسان، لم أعمل خيراً قط، ومعترف بالتالي أنك إذا عذبتني عذّبتني وأنت عادل، ففراراً من هذا العذاب أوصيتُ بهذه الوصية الجائرة. التي يمكن أن لا يوجد لها مثيل في الدنيا؛ في الجور

والظلم. ولما كان الله عزوجل يعلم حقيقة ما في نفس هذا الإنسان من الصدق فيما قال - قال: اذهب فقد غفرت لك.

أي: غفر له كفره وشركه بالله عزوجل.

فإذن؛ الإنسان يمكن أن يخطئ فيما يتعلق بالعقيدة.

لكن هذا الخطأ إن كان كيداً في الإسلام فلا يُغفَر له.

أما إن كان محاولة منه؛ لا يقصد فيها الكيد بالإسلام فالله عزوجل يغفره له.

لذلك؛ فتأويل آيات الصفات، وأحاديث الصفات من الفرق الإسلامية كلها؛ مثل المعتزلة، والخوارج، والمرجئة، والأشاعرة، والماتريدية - لا يجوز أن يُطلَق به القول في تكفيرهم؛ لأننا لا نعلم الباعث لهم أنه كان كيداً بالإسلام. بل نقطع أن بعضهم كان يريد تنزيه الإسلام من بعض المفاهيم التي تبدو له أنها بريئة من الإسلام، ولو أنه كان مخطئاً في ذلك.

وهذا في الواقع نعتقده - في الجملة، وليس في التفصيل - أنه الباعث لكثير من الأشاعرة والماتريدية على التأويل الذي انحرفوا به عن طريقة السلف الصالح. لم يكن انحرافهم هذا طعناً في العقيدة وكيداً بالإسلام، وإنما كان ذلك محاولة منهم لتقريب بعض النصوص التي أساءوا فهمها إلى بعض الأذهان».

- السائل: «دورٌ في التلاعب؟»».

- الشيخ: «لا نقول بأنه تلاعَب هو وغيره، وإنما نقول: تأوّل هو وغيره كثيراً من آيات الصفات، وأحاديث الصفات، ولا نعلم عنهم أنهم أرادوا كيداً بالإسلام، بل نظن فيهم أنهم أرادوا خيراً بالإسلام».



- يسأل الشيخَ سائل فيقول[1]: «المنهج السلفي في الرد على المخالف؟ نريد المنهج السلفي في الرد على المخالف».

- الشيخ: «الذي أعتقده أن الذي يريد أن يرد على المخالفين يجب أن يبين لهم أن الأخوة الإسلاميه تجمعه معهم، وأنه مسلم يؤمن بالله ورسوله كما هم أيضاً يؤمنون بالله ورسوله. حتى يشعر المدعو إلى منهج الكتاب والسنة وعلى ما كان عليه السلف الصالح أنه يُحِب له الخير ولا يريد له الشرّ، وأنه له ناصح أمين. هذا أولاً.

ثانياً: أن يُقدِّم له من الآيات والأحاديث ما تُيسِّر له الفهم، وتبين له أنه على خطأ.

ولا يكتفي بذلك، بل يأتي بالنصوص التي تدخل في باب الترغيب والترهيب، لأنه الحقيقة أن الفقه الإسلامي تطوَّر مع الزمن؛ أصبح - كما يقال - جامداً؛ لا روح ولا حياة فيه، كأي علم آخر.

مثلاً؛ شروط الصلاة، أركان الصلاة، واجبات الصلاة، سنن الصلاة؛ ليس في هذه البيانات التي يجب بيانها ما يَحضّ المسلم على الإيمان بها والإهتمام بتطبيقها من آية أو حديث فيها أو فيه ترغيب وترهيب.

فلا بد من الإتيان - أيضاً - بشيء من هذه المرغِّبات والمرهِّبات لتفتح قلب المدعو إلى الإستجابة للداعي.

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٥٧٢): (١٠:١٢).

وأخيراً: لا بد من الإستشهاد – وليس الإستدلال – بأقوال الأئمة والعلماء الذين هو مقتنع بفضلهم وبعلمهم وبأنهم كانوا على هدى من ربهم. لأن المشكلة في العصر الحاضر أننا نُجابَه: «هؤلاء العلماء – يا أخي – ألا يفهمون مثل ما أنت تقول؟!».

هذا يقال لجهله، فيجب أن يُذكَّر بأنَّ هذا الذي ندعوهم إليه هو ما كان عليه العلماء الذين يُجلّهم. كل بحسبه:

إن كان – مثلاً – مبتلى بمذهب من المذاهب؛ حنفي، أو شافعي، أو مالكي، يؤتَى له بأقوال هؤلاء الأئمة فيما هذا الطالب للعلم أو الداعية في صدد تنبيهه على خطأِ ما هو عليه.

كذلك إن كان يَدّعي – مثلاً – التصوف؛ فنحن نأتي بناس من كبار الصحابة الذين عُرفوا بالزهد والإعراض عن الدنيا والتكالب عليها؛ فنأمره بأن يقتدي بهؤلاء، وليس بأمثال الصوفيين المعروفين بالإنحراف عن العقيدة الصحيحة باسم التصوف؛ كابن عربي مثلاً، وابن سبعين وأمثالهما.

هذا ما يحضرني من ضرورة أن يسلك الداعيةُ هذا السبيل لتقريب الدعوة السلفية إلى أذهان الناس البعيدين عن هذه الدعوة».

❋ ❋ ❋ ❋

- يسأل[١] الشيخَ سائل عن كيفية الدعوة الصحيحة لإقامة منهج علمي صحيح.

- فيقول[٢] الشيخ: «قبل كل شيء يجب على إخواننا الحريصين على اتباع الكتاب والسنة أن يتدارسوهما دراسة علمية دقيقة فيها الوعي والفهم الصحيح، وفيها التأني في عدم تبني الآراء الشخصية من الذين يرون أنفسهم أنهم صاروا من طلاب هذا العلم الشريف.

ويجب - بالإضافة إلى دراسة هذا العلم - أن يكون كل دارس حريصاً على العمل بما عَلِم؛ حتى لا يكون علمه حجة عليه من جهة، وحتى ينفع الله تبارك وتعالى الناس بعلمه.

ثم ينبغي أن يُلاحَظَ في ذلك أمر ثالث؛ وهو:

إذا أردنا أن ندعو الناس إلى ما امتن الله به علينا من الهدى والنور؛ فيجب أن نترفق بهم، وأن لا نتشدد عليهم، ولا نظهر أمامهم بأننا متميزون عليهم بهذا العلم.

يجب أن نعتبر الناس كلهم - الذين نراهم بعيدين عن هدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - مرضى.

ولا شك أن المرض المعنوي أشد وأضر على صاحبه من المرض المادي البدني.

وإذا كان من المفروض في الطبيب البدني أن يترفق بالمريض؛ حتى يقول كثير منهم أن بعض المرضى يُعافون بمجرد أن يسمعوا كلاماً لطيفاً من طبيبهم - فأولى

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ١٨١) : (١٧:٢٠).

(٢) (١٧:٤٠).

وأولى أن يكون طالب العلم الذي يتولّى إرشاد الناس وهدايتهم إلى اتباع السنة وما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم؛ رفيقاً في دعوتهم، لطيفاً في معاملتهم.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُنكر على السيدة عائشة - رضي الله عنها - حينما قَسَت في رد السلام على ذلك اليهودي الذي دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فألوى لسانه بالسلام وقال: «السَّام عليكم». فسلامه غير واضح أنه سلام المسلمين، ولا هو واضح أنه دعاء على سيد المرسلين بالموت الذي هو السام، فهو لم يَنطق بها فصيحة صريحة. بالطبع لا يتجرأ أن يخاطب الرسول عليه الصلاة والسلام والدولة له يومئذٍ بقوله: «السام عليك» أي: الموت. ولكنه أيضاً - لما في قلبه من ذل وحقد وكفرٍ بالنبي ﷺ - لا ينطلق ليُلقي عليه السلامَ الذي هو اسم من أسماء الله عزوجل كما جاء في الحديث الصحيح، وإنما غمغمها وضيعها وقال : «السّام عليكم».

ومن الأمر البدهي أن لا يخفى ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ فردَّ عليه السلامَ بغاية الإيجاز بقوله: «وعليكم».

أما السيدة عائشة - وهي من وراء الحجاب - فما كادت تسمع هذا الإلواء من ذاك اليهودي بالسلام حتى طارت شقتين، وقالت: وعليك السام واللعنة والغضب إخوة القردة والخنازير.

ولما خرج اليهودي قال - عليه الصلاة والسلام - لها: ما هذا يا عائشة؟! قالت: يا رسول الله ألم تسمع ما قال؟ قال لها: ألم تسمعي ما قلت؟ يا عائشة - وهنا الشاهد - ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما كان العنف في شيء إلا شانه.

وإذا كان هكذا يقول الرسول - عليه الصلاة والسلام - لمن خاطب اليهود بتلك اللهجة القاسية؛ وهي السيدة عائشة، وحُقّ لها ذلك، لأنها فهمت من اليهودي أنه يدعو على النبي ﷺ بالموت؛ فماذا ينبغي أن يكون موقفنا مع إخواننا الذين يشتركون معنا - على الأقل - في الشهادتين؟!

فلا شك أننا يجب أن نترفق بهم، وأن لا نتشدد عليهم.

ولهذا كان من وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - لما أرسلهما دعاةً إلى اليمن أنه قال لهما: اذهبا، وتطاوعا، ويسّرا، ولا تعسّرا.

فهذا كله وذاك مما يجعلنا ننتبه لنكون في دعوتنا متسامحين متياسرين مع الناس.

وكما أني أقول في مثل هذه المناسبة - وكثيراً ما أقول - :

إن دعوتنا والحمد لله هي دعوة الحق، والناس عن الحق غافلون، وكلمة الحق بطبيعة الحال على الناس ثقيلة، فيكفي إثقالاً على الناس أن ندعوهم إلى هذا الحق الثقيل عليهم، فحسبهم ثقل كلمة الحق.

فذلك مما ينبغي أن يردعنا ويصدنا عن أن نزيد في الإثقال عليهم باستعمالنا الأسلوب الشديد في دعوتنا إياهم إلى الحق، لأنه إذا انضمت إلى شدة الحق وثقله على الناس - وهي حق - شدةُ الأسلوب - وهي ليست بحق - في الدعوة؛ فحينئذٍ يكون هذا الثقل الثاني صاداً لهم عن تقبل الحق الثقيل بطبيعته؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ .

ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «أفتّان أنت يا معاذ، أفتان أنت يا معاذ، أفتان أنت يا معاذ، بحسبك أن تقرأ بالشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، ونحوها من السور، إذا أمّ أحدكم فليخفف..». قال هذا في قصة إطالة معاذ للقراءة في صلاة العشاء، تلك الإطالة التي حملت أحد الأنصار على أن يقطع الصلاة خلفه، وأن يصلي وحده، وينطلق إلى داره ويترك الجماعة. فكان معاذ لما بلغه الخبر يشتد في الحملة عليه حتى كان يقول فيه: إنه منافق.

استعمل معاذ رضي الله عنه هذه الكلمة انطلاقاً منه مع المبدأ العام الذي تحدَّث عنه ابن مسعود في حديث طويل في صحيح مسلم أنه ما كان يتخلف عن صلاة الجماعة إلا منافق.

وكذلك هناك حديث آخر: أن الذي يكون في المسجد ويسمع الأذان ثم يخرج فهو منافق.

استعمل معاذ هذا الإستعمال العامّ في حق ذلك الإنسان، وكان مخطئاً؛ لأن هذا الرجل لم يخرج اتباعاً للهوىٰ، وإنما لعذر بيَّنه للرسول عليه الصلاة والسلام حينما شكا معاذاً إليه، فأرسل الرسول عليه الصلاة والسلام وراء معاذ كما هو معلوم، فقال له عليه الصلاة والسلام: أفتّان أنت يا معاذ.. إلى آخر الحديث.

الشاهد؛ أن القسوة والشدة تضر بالدعوة.

ونحن - مع الأسف - نلاحظ في كثير من إخواننا، وكلما كان هذا الأخ حديث عهد بالدعوة كلما كان شديداً فيها، لأنه يتصور أن الشدة تنفع في الدعوة، والواقع

أنها تضر. وحسبكم في هذا الصدد قـولُ الله عزوجـل : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾.

وأرى أيضاً أن أذكِّر بأننا اليوم ابتُلينا بنقيض ما كنا ابتُلينا بـه في القـرون الماضـية السابقة:

كنا ابتُلينا في القرون السابقة بجمـود العلـماء، فـضلاً عـن طـلاب العلـم وعـن العامة.

ابتلينا بالجمود على التقليد المذهبي. ومضى هذا الجمـود علـى المـسلمين قرونـاً طويلة.

الآن؛ توجد فيئة وصيحة مباركة في الرجوع إلى الكتاب والسنة، وبلا شك فقـد آتت أكلها وثمارها اليانعة.

ولكننا نشكوا الآن نقيض ذلك الأمر الذي كنا نشكوا منه من قبل:

كنا نشكوا الجمود.

فأصبحنا الآن نشكوا من الإنطلاق:

أصبح كل من سمع كلمة الكتاب والسنة - وهو لا يفقـه مـن الكتـاب والـسنة شيئاً، إنما بعض العبارات، أو بعض الكلمات يسمعها من بعض الدعاة، وقد تكـون هي كلمات حق، وقد يكون في بعضها خطأ - يظن أنه أصبح بذلك عالماً يجوز لـه أن يقول: أنا أرى كذا، وأنا رأيي كذا، وأنا أرى هذا القول خطأ. ويتدخل في كل كبـير وصغير، وهو لا يحسن أن يقرأ حديثاً.

ذلك الجمود. وهذه لها أخطارها.

وإذا دار الأمر - هذا رأيي الشخصي - بين اتباع مذهب من المذاهب الأربعة المتَّبَعَة والجمود عليها، وبين أن يصبح كل مسلم مدعياً العلم والإجتهاد؛ فلا شك أن البقاء على ما كان عليه الآباء والأجداد من اتِّباع المذهب وعدم الإعتداد بآراء الجهلة الذين ما درسوا العلم؛ ذلك خير. وهذا من باب: حنانيك؛ بعض الشر أهون من بعض.

صحيح أن بعض الحكماء - أو الأدباء - من العراقيين قال كلمة جميلة جداً، ولكن فيها استدراك - أيضاً - جميل:

قال: «لأن أجتهد فأخطأ أحب إلي من أن أقلد فأصيب» قال: «إنما قلت: أحب إلي، ولم أقل: خيرٌ؛ لأن الخطأ ليس خيراً من الصواب» : أحب إليّ، وليس خيراً.

لذلك؛ فنحن يجب أن ننصح إخواننا الذين يشتركون معنا في الدعوة وتبنّي الكتاب والسنة أن لا يغتروا بنفوسهم، وببعض المعلومات التي أخذوها من غيرهم - وليتها كانت بدراستهم الشخصية - ؛ فإن هذا يفتح علينا باباً بالنسبة للآخرين لا قِبَل لنا برده؛ لأن الآخرين يحتجون علينا ب «أنكم تسمحون لمن لا يَعرف - يقولون عندنا بالشام: - الألف من البسطيجة» البسطيجة هي: العصا الطويلة. وبعض البلاد هناك يقولون: ما يَعرف الخمسة من الطمسة.

فهذا - بلا شك - : عيب يُؤخَذ على الدعوة السلفية، لكن - والحمد لله - الدعوة السلفية لا تقر مثل هذه الآراء الشخصية التي تنبع من ناس ليسوا من طلبة العلم، ولو كانوا كذلك من طلبة العلم، ولكنهم بعدُ ما نضجوا في العلم.

ولذلك؛ فنحن نقترح على هؤلاء أن لا يعتدوا بآرائهم، وأن يستعينوا بأهل العلم؛ لأن القرآن الكريم - كما تعلمون - جعل المسلمين قسمين: عالم. وغير عالم.

وهكذا كان الأمر في كل العهود السابقة، وبخاصة في القرن الأول؛ القرن الأنور؛ وهو قرن الرسول - عليه الصلاة والسلام - وعصره؛ فقد كان الناس قسمين: عالم، وغير عالم. وهذا ما عناه الله عزوجل بقوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

يقول ابن القيم وغيره بأن العلماء من الصحابة الذين كانوا يفتون الناس بالكاد كان يبلغ عددهم مئتَي عالم، والألوف المؤلَّفة من الصحابة ما كان كل واحد منهم - كما هو شأن نقول الملايين اليوم، وليس الألوف؛ لكثرة المسلمين ما شاء الله اليوم على وجه الأرض - يبدي رأياً، وإنما كانوا يطبقون قوله تبارك وتعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

وبناء على هذه الآية يجب أن ننشر هذه الحقيقة بين شبابنا السلفي، ونُعيِّشهم عليها؛ بحيث تكون نصب أعينهم دائماً وأبداً:

أنت عالم؟ عالم تجتهد؛ تفهم الكتاب والسنة.

لست عالماً؟ إذن؛ ليس واجبك أن تقول: أنا أرى كذا، وأنا اجتهدت فرأيت كذا. سواء كان ذلك في تصحيح حديث وهو ليس من أهل الحديث، أو كان في استنباط حكم وهو ليس من الفقهاء، فعليه إذن أن يحقق هذه الآية : ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ؛ لأن هؤلاء الذين يتجرّأون على الإفتاء وهم ليسوا من أهل العلم والإفتاء مَثَلُهم مَثَلُ ذلك الرجل الذي دعا عليه الرسول - عليه الصلاة

والسلام - بأن يُهلكه الله عزوجل لأنه أفتى بفتوى قضىٰ بسببها على نفس بريئة مسلمة:

تعلمون هذا الحديث الذي رواه أبوداود في سننه أن النبي ﷺ أرسل سَرِيّةً، فلما قاتلوا الكفار، وأمسوا، وأصبح بهم الصباح قام أحدهم وقد احتلم وفي جسده جراحات كثيرة، فسَأل مَنْ حَوله؛ هل يجدون له رخصة في أن لا يغتسل؟ قالوا: لابُدّ لك من أن تغتسل. فاغتسل فمات. فلما بلغ خبره رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا عليه فقال: قتلوه! قاتلهم الله، ألا سألوا حين جهلوا؟! فإنما شفاء العَيِّ السؤال.

هذا الحديث يجب أن يكون ماثلاً دائماً وأبداً أمام أعين طلاب العلم، حتى لا يتجرأوا على الإفتاء، فيصيبهم مثل ما أصاب ذلك الرجل الذي دعا عليه الرسول - عليه الصلاة والسلام - بأن يقاتله الله تبارك وتعالى.

والتجرُّؤُ على الإفتاء - يبدو مما سبق من الكلام - يعود وباله على المفتي أوّلاً، وعلى المستفتي ثانياً.

وحينئذ؛ إذا استقر هذا المعنى في طلاب العلم - الذين لم يصلوا إلى معرفة الكتاب والسنة وتتبع أقوال الأئمة والمفاضلة والمراجحة بينها، وإنما مجرد أن يقول: أنا أرى كذا، وأنا فهمت كذا - فليريحوا أنفسهم من المصيبتين اللتين أشرتُ إليهما أوّلاً - أن يقعوا هم في الخطأ، ويوقعوا غيرهم فيه - وذلك بأن يسألوا أهل العلم، ولا عليهم بعد ذلك أخطأ هذا الذي أفتاه، أم أصاب؛ لأنه إن أصاب فبها ونعمت،

وإن أخطأ فإنما إثمه على مفتيه، فبدل أن يتحمل الإثم هو بنفسه - لأنه أفتى بغير علم، وورّط الذي أفتاه بغير علم - فليجعل الإثم على غيره إن أفتاه بغير علم.

وهذا لا يعني أن لا يتحرّى شبابنا في سؤالهم لأهل العلم أن يميزوا بين عالم، وعالم؛ بين مدّع للعلم، وعالم حقيقة، وبين عالم بمذهب، وجاهل بالكتاب والسنة. هذه قضية أخرى.

المهم أن يَسأل من يثق بعلمه ودينه، فحينذاك لا يقع في المشكلة التي وقع فيها ذاك الذي أفتى الرجل بأنه لا بد أن يغتسل. ولجهله بالسنة لم يفته بجواز التيمّم؛ لأن الماء يضره، وفعلاً أضره، وكان سبب وفاته.

هذه كلمة، ولعلي أطلت فيها، فأرجو الله عزوجل أن يوفقنا للعمل بالعلم النافع، ويعرفنا بذوات نفوسنا، ولا يجعَلَنا من المغترين بها، لأن الغرور مَهْلكة ما بعدها مهلكة.



- يسأل الشيخَ سائل فيقول[1]: «ما رأي فضيلتكم في أوضاع الدعوة السلفية عموماً، وفي الكويت، ومصر، والسعودية خصوصاً؟».

- الشيخ: «أنا أقول:

إن الدعوة السلفية الآن - مع الأسف - في اضطراب. وسبب ذلك هو تسرُّع كثير من الشباب المسلم إلى ادعاء العلم؛ فهو يتجرأ على الإفتاء وعلى التحريم والتحليل وهو - كما سمعنا كثيراً - لا يحسن أن يقرأ آية من القرآن، ولو أنها أمامه في المصحف الكريم، فضلاً عن أنه كثيراً ما يلحن في قراءة حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، فيصدُق فيه المثل المعروف في بعض البلاد: «إنه تزبّب قبل أن يَتَحصرَم»؛ الـحُصْرُم تعرفونه، - ما أدري مستعملة هذه الكلمة عندكم ؟ - هو العنب حينما يبدأ يصير حباً أخضر، وهو حامض جداً. يعني: هو قبل أن يتحصرم جعل نفسه كالزبيب، يعني: كالعنب الذي نضج وصُيِّر زبيباً.

ولذلك فركوب كثير من هؤلاء الناس رؤوسهم، وتسرعهم في ادّعاء العلم والكتابة - وهم بعدُ ما مشوا إلى منتصف طريق العلم - هو الذي جعل الآن الذين ينتمون إلى الدعوة السلفية مع الأسف شيعاً وأحزاباً.

ولذلك؛ فالعلاج - أيضاً - ليس له علاج إلا بأن يتقي هؤلاء المسلمون ربهم عزوجل، وأن يعرفوا أنه ليس لكل من بدأ في طلب العلم أن يتصدر في الإفتاء؛ في التحريم والتحليل، وفي تصحيح الحديث وتضعيفه إلا بعد عمر طويل؛ يتمرس فيه على معرفة : كيف يكون الإفتاء، وكيف يكون الإستنباط من الكتاب والسنة.

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ١٨٨) : (٤٩:٢٣).

وفي هذا الصدد لا بد من أن يتقيد هؤلاء الدعاة، أو السلفيون بالقيد الثالث الذي سبق أن ذكرتُه في أثناء الكلام عن العلم النافع والعمل الصالح، وقد قلنا بأن العلم النافع يجب أن يكون: (على منهج السلف الصالح).

حينما يحيد كثير من الدعاة الإسلاميين اليوم عن التقيد بهذا القيد الثالث - الذي أشار إليه الإمام ابن القيم رحمه الله في شعره السابق حين قال: (العلم: قال الله ، قال رسوله، قال الصحابة) - ولا يلتفتون إلى ما كان عليه السلف الصالح؛ فإن الناس يعودون بعد أن اتفقوا إلى الفُرقة؛ التي تباعد بينهم؛ كما باعدتْ من قبل بين كثير من المسلمين؛ فجعلتهم شيعاً وأحزاباً؛ كل حزب بما لديهم فرحون.

هذا رأيي في هذا الواقع.

وعليهم - إذا كانوا مخلصين كما نرجوا - أن يتمسكوا بالمبادئ العلمية الصحيحة، وأن لا يتجرأ من لم يكن قد وصل إلى مرتبة العلم صحيحاً، وأن يتورع عن ذلك، ويَكِلَ العلم إلى عالمه.

ويعجبني في هذا الصدد بعض الروايات التي وردت في كتب الحديث أنّ - أظن - عبد الرحمن ابن أبي ليلى رحمه الله، من كبار علماء السلف الصالح قال: لقد أدركت في هذا المسجد - ولعله يشير إلى مسجد المدينة المنورة - سبعين من الصحابة كان أحدهم إذا سُئل عن مسألة، أو استُفتي عن فتوى يتمنى أن يتولى ذلك غيره من العلماء الصحابة الحاضرين.

والسبب في ذلك هو أنهم يخشون أن يقعوا في خطأ فيوقعون غيرهم في الخطأ، فيتمنى أحدهم أن لا يتحمل هذه المسؤولية، ويتحملها غيره.

أما الآن؛ فالظاهرة معاكسة تماماً، مع الأسف الشديد.

وذلك يعود إلى سبب واضح - وأنا أذكره دائماً وأبداً - هو: أن التفتح الذي نشعر به الآن للكتاب والسنة والدعوة السلفية هو أمر حادث، ولم يمض على هذا التفتح الذي يسمونه بالصحوة زمن طويل حتى يجني هؤلاء الناس ثمرة هذه الصحوة، أو هذا التفتح في أنفسهم، أي: أن يَتَرَبَّوا على أساس الكتاب والسنة، ثم يُفيضوا بهذه التربية الصحيحة القائمة على الكتاب والسنة على غيرهم ممن حولهم؛ الأدنى فالأدنى.

فالسبب: أن هذه الدعوة لم يظهر أثرها؛ لأنها حديثة العهد بهذا العصر الذي نحن نعيش فيه، ولذلك نجد الظاهرة المعاكسة لما ذكرناه آنفاً مما رواه عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن أولئك الصحابة الذين كانوا يتورّعون عن أن يُسألوا، ويتمنون أن يُسأل غيرهم، وما كانوا يجيبون عن السؤال إلا لعلمهم بأنه لا يجوز لهم أن يكتموا العلم، لكن في قرارة قلوبهم كانوا يتمنون أن يتولّى ذلك غيرهم.

أما الآن؛ فتجد في كثير من المجتمعات السلفية فضلاً عن غيرها يُسأل أحد ممن يُظن أنه أكثر من الحاضرين علماً وإذا بك تجد فلاناً بدأ يتكلم وهو غير مسؤول، وفلاناً بدأ يتكلم وهو غير مسؤول.

ما الذي يدفع هؤلاء؟

هو: حب الظهور والأنانية: (أنا هنا)، أي: (أنا عندي علم)، وما شاء الله عليه!

هذا على ماذا يدل؟

يدل على أننا لم نترب التربية السلفية؛ نحن نشأنا على العلم السلفي، وكل بحسب اجتهاده وسعيه إلى هذا العلم.

أما التربية فما حصّلناها بعدُ كمجتمع إسلامي سلفي.

ولذلك؛ فهذه الجماعات، والتكتلات، والأحزاب: في كل حزب نجد مثل هذا التفرق؛ ما سببه إلا عدم التربية الإسلامية الصحيحة.

.. علاج هذه الأمة ليعود إليها مجدها وتتحقق لها دولتُها ليس له سبيل إلا البدء بما أُلخصه بكلمتين اثنتين: (التصفية، والتربية) ، خلافاً لجماعات كثيرة؛ يسعون إلى إقامة الدولة المسلمة - بزعمهم - بوضع أيديهم على الحكم، سواء كان ذلك بطريق سلمي - كما يقولون بالإنتخابات - ، أو بطريق دَمَويّ؛ كانقلابات عسكرية، وثورات دموية، ونحو ذلك.

نقول: هذا ليس هو السبيل لإقامة دولة الإسلام على أرض الإسلام، وإنما السبيل هو سبيل رسول الله ﷺ الذي دعا في مكة - كما تعلمون - ثلاث عشرة سنة، ثم أتم الدعوة في المدينة. وهناك بدأ - بعد أن استصفى له ممن اتبعه وآمن به رجال لا تأخذهم في الله لومة لائم - بوضع أسس الدولة المسلمة.

والتأريخ - كما يقولون - يعيد نفسه؛ فلا سبيل أبداً - وأنا على يقين مما أقول، والتجربة الواقعية منذ قرابة قرن من الزمان تدل على أنه لا مجال إطلاقاً - لتحقيق نهضة إسلامية صحيحة، ومن ورائها إقامة الدولة المسلمة إلا بتحقيق هذين الهدفين وهما: (التصفية) - وهي: كناية عن العلم الصحيح - و (التربية) وهي: أن يكون الإنسان مربَّى على هذا العلم الصحيح: الكتاب والسنة.

نحن الآن في صحوة علمية، ولكننا لسنا في صحوة تربوية، لذلك نجد كثيراً من الأفراد من بعض الدعاة يستفاد منه العلم، لكن لا يستفاد منه الـخُلُق. لماذا؟

لأنه هو نشّأ نفسه على العلم، ولكنه لم يكن في بيئة صالحة رُبّي فيها منذ نعومة أظفاره، ولذلك فهو يحيى ويعيش وهو يحمل الأخلاق التي ورِثها من ذاك المجتمع الذي عاش فيه ووُجد؛ وهو - بلا شك - ما هو مجتمع إسلامي، لكنه استطاع بشخصه أو بدلالة بعض أهل العلم أن ينحو منحى علمياً صحيحاً، لكن هذا العلم ما ظهر أثره في خُلُقه، وسلوكه، وأعماله.

هذه الظاهرة التي نحن الآن في صدد الكلام عنها سببها هو أننا - أولاً: - لم ننضج علمياً إلا أفراداً قليلين.

ثانياً: الأفراد - أكثر من ذلك - لم يربّوا تربية إسلامية صحيحة.

ولذلك؛ فتجد كثيراً من المبتدئين في طلب العلم يَنصِب نفسه رئيس جماعة، أو رئيس حزب. وهنا تأتي حكمة قديمة لتعبِّر عن أثر هذا الظهور، وهي التي تقول: «حب الظهور يقطع الظهور».

فهذا؛ أسبابه تعود - إذن - إلى عدم التربية الصحيحة على هذا العلم الصحيح».



- يسأل الشيخَ سائل فيقول[1]: «هناك ـ يا شيخ - سؤال مهم يتعلق بالدعوة السلفية؛ وهو: غموض الدعوة السلفية في المملكة السعودية، بحيث تكوّنت إلى أحزاب وجماعات توالي وتعادي بعضها البعض، بحيث تكون الموالاة والمعاداة في ذاك الشخص. فما رأيكم يا شيخ؟

يعني: هو مجرد أنه يعادي فلاناً؛ تلك الجماعة تعادي هذا الشخص، وبمجرد أنه يواليه فإن الجماعة كذلك تواليه. فما رأيكم يا شيخ؟».

- الشيخ: «إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

نحن نعتقد أن هذه المشكلة التي جدَّت في الأيام الأخيرة سببها يعود إلى ما ندندن - نحن - دائماً حوله؛ حينما نقول:

إن العالم الإسلامي لا يمكن أن يعود إليه عزه ومجده وقوته ومنعته بمجرد التكتلات والتحزبات على ما هي عليه من البُعد عن أمرين اثنين:

أوّلاً: البعد عن العلم الصحيح المستقى من (كتاب الله) و (سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) و (ما كان عليه سلفنا الصالح).

هذه الركائز الثلاثة هي التي ينبغي أن يكون عليها العلم الإسلامي.

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ٦٣٥) : (٠٠:٤٦).

ثم – وهنا بيت القصيد من هذا الجواب – أن (يُربَّى المسلمون على هذا الإسلام المصفّى).

الآن – دائماً نحن نؤكد وندندن – ؛ أفاء المسلمون وانتبهوا لضرورة العودة إلى هذا المنهج الصحيح الذي لا منهج سواه: (الكتاب) و (السنة) و (على ما كان عليه السلف الصالح).

لكنهم – بعدُ – لم تكن الفيئة والصحوة التي ينادون بها الآن إلا كصحوة النائم أول استيقاظه، ولا يزال مضطرباً.

ثانياً: ما آن لهؤلاء الذين صَحَوا على هذا المنهج الصحيح في أول الصحوة أن يربوا أنفسهم – ولا أقول غيرهم – على هذا الإسلام المصفَّى؛ فضلاً عن أن يربوا غيرهم؛ أعني: فضلاً عن أن يتمكنوا من أن يوجدوا أمة رُبّيت على هذا الإسلام المصفَّى. هذه هي المشكلة.

فنحن – صحيح – قد وجدنا والحمد لله في العالم الإسلامي كله طوائف – ولو كانوا متفرقين – في مختلف البلاد الإسلامية تمسكوا بما ندعوا الناس إليه من (الكتاب) و (السنة) و (على ما كان عليه سلفنا الصالح)؛ لكن ما ربّوا أنفسهم على هذا؛ فضلاً عن أن يربوا غيرهم.

ولذلك؛ فالأخلاق الآن ليست إسلامية، ليست أخلاقاً سلفية، فالحقد، والحسد، والتباغض، والتدابر؛ هذه أخلاق ليست من الإسلام في شيء.

فنحن إذا وجدنا طوائف كثيرة على المنهج المذكور آنفاً؛ لكن مع الأسف لم يربوا تربية إسلامية صحيحة – فهذه هي العلة.

ولذلك؛ فأنا لا أستغرب أن يوجد مثل هذا التناحر والتعصب؛ كل حزب – كما قال تعالى – بما لديهم فرحون.

لكن علينا أن نذكّر أنفسنا قبل كل شيء بأنه لا يكفي أن نصحح علمنا فقط، بل لا بد أن نصحح – مع علمنا – سلوكنا، ونقوِّم بسلوكنا أخلاقنا، ويومئذٍ – إذا تحقق في الطائفة المنشودة مثل هذا الإصلاح العلمي والخلقي أو السلوكي – يفرح المؤمنون بنصر الله تبارك وتعالى.

فعلى هذا؛ أنا أنصح كل طائفة وجماعة تلتقي معنا على كلمة سواء بيننا – : ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ – : مادام اجتمعنا على كلمة التوحيد والإخلاص لله عزوجل في عبادته فيجب –أيضاً– أن نجتمع على الأخلاق التي جاء بها رسول الله ﷺ، بل كما قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

فهذه هي دعوة النبي ﷺ، فدعوته ليست علمية فقط، بل هي: (علمية وعملية). ولذلك قال تعالى – وبهذه الآية أختم الجواب – : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾.

فحينما ننتمي إلى السلف ونقول : «نحن سلفيون» ليس معنى ذلك: سلفيون فكراً، وخلفيون خُلُقاً وسلوكاً.

لا، يجب أن نجمع بين الأمرين، وأن لا نكون تحت هذا الوعيد المـذكور في الآيـة الكريمة.

ونسأل الله عزوجل أن يهدينا جميعاً إلى العلم النافع، والعمل الصالح».



- يقول[١] الشيخ: «ويقابل هؤلاء الناس - الذين لا يهتمون بتصحيح العقيدة والمفاهيم - ناس آخرون على عكس هؤلاء تماماً؛ يهتمون الإهتمام الواجب في معرفة الحق مما اختلف فيه الناس، ولكنهم يعادون أشد المعاداة ذلك الجنس الأول.

والحق بين هؤلاء وهؤلاء.

يجب - إذن - أن يكون موقفنا تجاه الجماعات الإسلامية موقف الأخوَّة المؤمنة؛ وإذا رأى المسلم في أخيه خطأً - بل ولو رأى منه خطيئة - فليس ينبغي في حقه أن يعاديه، بل عليه أن ينصحه، وأن يكون نصحه إياه بالرفق والحكمة المأمور بها في الكتاب والسنة: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾.

وينبغي أن يلاحِظ هؤلاء - الذين يهتمون بمعرفة الحق مما اختلف فيه الناس - أن سائر الناس إذا كانوا في خطأ فإنما هم كالمرضى الذين يجب أن يعالَجوا بكل إخلاص وكل رفق، ولا يجوز أن يُعامَلوا بالشدة والغلظة، لا جَرَمَ أن الله عزوجل خاطب نبيه عليه الصلاة والسلام تعليماً لنا: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾.

فدعوتنا - إذن - التي تنحصر في اتباع الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح لا تعادي جماعة من الجماعات الإسلامية لأشخاصها، وإنما تخالفهم في بعض

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:١٧٠) : (٠٠:٥٨).

أفكارها، أو مناهجها[1]. وهذا مما يوجب علينا أن ننصحهم وندعوهم مهما اشتطوا ومهما ابتعدوا عن سبيلنا الذي هو سبيل ربنا».

❋ ❋ ❋ ❋

(١) يقول رجل للشيخ ـ في: «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٧٩٩) : (١١:٣٠) ـ : «سُألتُ مرة ـ : أتاني قال: ـ ما تقول في سيد قطب؟ قلت: يا أخي! هذا مسلم، أنا أحبه في الله من ضمن المحبة العامة، وأبغض ما عنده من أخطاء» فيقول الشيخ ـ مقراً له ـ : «تمام».

- يسأل الشيخَ سائل فيقول[1]: «ما مدى استقامة قول القائل: إن الجماعات الإسلامية المعاصرة غير الجماعة الأم (السلفية) أشد خطراً على الإسلام من اليهود والنصارى؛ كجماعة الإخوان المسلمين، قياساً على قول هذه الكلمة من ابن تيمية حول الرافضة؟».

- الشيخ: «لا ، ما أعتقد إلا أن هذا نوع جديد من الغلو، ونوع جديد من التحزب والتباغض والتدابر.

كل الجماعات الإسلامية فيها خير، فيها شر.

الحكم على الجماعات - يا إخواننا - كالحكم على الأفراد؛ فلا يوجد هناك فرد مسلم جمع خصال الكمال كلها، وإنما بعض دون بعض؛ صلاحه أكثر من طلاحه، أو طلاحه أكثر من صلاحه.

حتى فيهذه الصورة الأخرى (طلاحه أكثر من صلاحه) ما ينبغي أن ننكر الصلاح الذييصدر منه.

فالإخوان المسلمون، وحزب التحرير، وجماعة التبليغ؛ فيهم خير، لكن فيهم أيضاً بُعدٌ عن الإسلام إما جهلاً وإما تجاهلاً.

ولذلك؛ هذه القولة فيها خطورة متناهية جداً، لا يجوز أن نطلق هذا الكلام، بل لا يجوز أن نضللهم.

نحن قلنا في بعض جلساتنا :

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٧٥٢) : (٢٥:٢٧) : تسجيل سنة : ١٤١٣ هـ.

أنا لا أرى أن نقول: كل شيعي فهو كافر. لكن أي شيعي يقول: إن قرآننا هذا هو ربع المصحف الذي ضاع وهو مصحف فاطمة. ونحو ذلك من الكلمات المكفِّرة وهو يعتقدها يدين الله بها فهذا الذي نقول: إنه كافر.

أما أن نقول: (الشيعة كلهم كفار) فلا، هذا عبارة عن غلو في الدين.

فأولى ثم أولى أن يُطلَق هذا الكلام بالنسبة لجماعة الإخوان المسلمين، أو غيرها من الجماعات التي تجمعها كلهم دائرة الإسلام، لكن بعضهم أقرب من بعض إلى الإسلام، وبعضهم أبعد عن الإسلام من بعض.

إذن؛ كل الجماعات فيهم خير وفيهم دَخَن كما جاء في الحديث الصحيح.

فنحن - في الواقع - نرى أن الدعوة السلفية هي الدعوة الوحيدة التي تجمع بين المسلمين؛ لأنها دعوة الحق التي كان عليها السلف الصالح.

أما الجماعات الأخرى ففيها وفيها.

ولذلك؛ لا يجوز إطلاق مثل هذا الكلام، فإن فيه ظلماً ومخالفة لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾».

- ثم يقول[1] رجل: «(..)[2] ألفاظ شيخ الإسلام، وأحمد بن حنبل التي على ضوئها قرر بعض الناس هذه العبارة».

- الشيخ: «عجيب!».

---

(١) (٣١:٥٢).

(٢) جملة غير واضحة، كأنه يقول: أقرأ ألفاظ..

- الرجل: «نعم».

- الشيخ: «تفضل».

- الرجل: «أحمد بن حنبل أرسل إليه المتوكل رسولاً وقال: عندنا رجال من أهل الأهواء، أترى أن نستعملهم في الدولة؟

فقال أحمد: يُستعمل اليهود والنصارى، ولا يُستعمل هؤلاء.

فلما روجع أحمد؛ قال: اليهود والنصارى مفضوحون، وأما هؤلاء فيلبّسون على الناس دينهم».

- الشيخ: «نعم».

- الرجل: «هذه عبارة للإمام أحمد.

العبارة الثانية لشيخ الإسلام؛ قال: حصل على المسلمين من الضرر من الخوارج ما لم يحصل عليهم من اليهود والنصارى».

- ثم يقول[1] الشيخ: «بهذا الإعتبار قد يكون ضررهم أكثر.

لكن لا نعاملهم معاملة اليهود والنصارى».

- الرجل: «لا شك. يعني كأني بأحمد بن حنبل - رحمه الله - من باب الأخذ بأخف الضررين».

- الشيخ: «صحيح.

هذا كلام سليم، لكن أنا أخشى أن يكون وراء هذه المبالغة ما ورائها من التكفير والإخراج عن دائرة الإسلام ونحو ذلك.

---

(١) (٢٤:٣٣).

أما هذا الذي ذكرتموه فهو وارد تماماً».

❋ ❋ ❋ ❋

- يقول(١) الشيخ: «يقولون؛ يتساءلون، أو يَسألون:

هل الحزب الفلاني، أو الجماعة الفلانية هي من الفرق الثنتين والسبعين؟

أنا أقول: لا يجوز الإجابة بأنها من فرقة من الثنتين والسبعين، أو ليسوا كذلك.

لماذا؟

لأنني أعلم بالتجربة أنه يوجد فيهم أفراد يتبنون منهج أهل الحديث والسنة، فعقيدتهم على عقيدة السلف، صلاتهم، صيامهم وكذا، كل ما في الأمر أنهم تحزّبوا هذا التحزب، وتكتّلوا هذا التكتل بدعوى أنه لا يمكن إقامة الإسلام إلا بهذا التكتل.

فإذن؛ هؤلاء متحزبون، ولكنهم مع ذلك هم على منهج أهل السنة، أو من أهل الحديث».



(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٣٥٤) : (٥٠:٥٣).

- يقول[1] الشيخ: «من المستحيل أن تكون الجماعات الإسلامية الموجـودة اليـوم في البلاد الإسلامية كلُّها في النار. هذا مستحيل.

كما أنه من المستحيل - تماماً - أن تكون كلُّها في الجنة.

هذا نقيض هذا، وهذا نقيض ذاك، وكله يستحيل شرعاً».

❋ ❋ ❋ ❋

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٧٠٥) : (٠٣:٣٢).

- يسأل الشيخ رجل عن الأحزاب المعاصرة؛ هل يُلحقون بالفرق الهالكة؟ وسؤاله هذا هو امتداد لأسئلة سألها في (الشريط رقم: ٨٤٨ الوجه أ) واستيضاح لما أُبهم في الجواب عليها هناك.

- فيقول[١] الشيخ: «أما هل يُلحقون بفرقة من تلك الفِرَق فهذا ليس بالأمر اللازم؛ لأننا نعتبر: الذي يخرج عن الإسلام عملاً في جزئية ما ذلك لا يجعلنا نخرجه من دائرة الإسلام مطلقاً، وإنما هو في هذه الجزئية خَرَجَ عن حكم الإسلام.

كذلك إذا كنا نتكلم في المنهج السلفي والدعوة السلفية:

إذا ثبت أن شخصاً ما في مسألة ما خرج عن منهج السلف الصالح فنحن ما نحكم عليه بأنه خرج عن دائرة السلف، لكننا نقول: في هذه المسألة هو بلا شك خالف السلف. كما قلنا بالأول: الذي خالف الإسلام في مسألة هو خالف الإسلام. لكننا لا نُخرجه في كل من الحالتين من دائرة الإسلام، ومن دائرة السلفية».

- الرجل: «إذن؛ هذا وَضَّحَ - شيخنا - ، أو قيَّد الكلام الذي فهمه كثير من الجالسين في المجلس الأول[٢]، وكنت أنا أحدهم، حتى تساءل كثير من الإخوة الذين هم طلبة العلم الكبار؛ قالوا: ما عهدنا عن الشيخ الفتوى بأن هذه الفِرَق المخالفة لنا أنها خارجة إلى الثنتين والسبعين الفرقة الهالكة، وإنما عهدناه أنه يُخَطِّئُ ويُحَذِّر من هذه الأخطاء دون أن يصل الحكم إلى هذا الأمر.

---

(١) « برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٨٤٩ الوجه ب) : (٠١:٠٣:٠٩) : تسجيل سنة : ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

(٢) يقصد المجلس المسجل في (الشريط رقم:٨٤٨ الوجه أ).

فالآن يظهر لنا أنكم تقيِّدون بأن هذا الفعل الذي هو محل السؤال هم خرجوا فيه من دائرة الفرقة الناجية، ولا يعني ذلك خروجهم بالكلية من دائرة الفرقة الناجية».

- الشيخ: «هذا الذي ندين الله به.

وأنا ما أعتقد أنني قلت إنهم من الفِرَقِ الضالة؛ لأنني كثيراً ما أُسأل سؤالاً صريحاً.

أنا ما أعتقد في تلك الجلسة قلت هذا الكلام.

وكنت أشتهي أن يُسمعني الشريط حتى إذا كان هناك خطأ ما - ولو خطأ لفظياً - نتراجع عنه.

لكني أظن في نفسي - في بعض الأحيان - خيراً؛ يعني أنني لا يصل بي الوهم إلى هذا الحضيض أن أحكم على شخص ما بأنه من الفرقة الضالة، أو الفِرَق الثنتين والسبعين لمجرد مخالفة واحدة.

فكثيراً ما سُألت عن الأحزاب القائمة اليوم، وبخاصة حينما ينصّون على حزب الإخوان المسلمين؛ هل تعتبرهم من الفرق الضالة؟

فأقول: لا؛ لأن هؤلاء أقل ما يقال فيهم: إنهم يعلنون تبعاً لرئيسهم الأول حسن البنا رحمه الله أنه على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، وإن كانت هذه دعوى تحتاج إلى تفصيلها قولاً وتطبيقها عملاً، وذلك ما لا نراه في الجماعة، لكن نحن نكتفي منهم أنهم يُعلنون الإنتماء إلى الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، لكنهم يخالفون ذلك في قليل أو كثير، وفيهم أفرادٌ هُم معنا في العقيدة، لكنهم ليسوا معنا في المنهج.

ولذلك؛ فأنا شخصياً - على الأقل - لا أجد رخصة لأحد أن يحشرهم في زمرة الفِرَق الضالة، وإنما هم يخالفوننا في مواضع طالما نناقشهم ونجادلهم فيها.

أما أنهم يستحقون بها أن نلحقهم بفرقة من الفرق الضالة؟

لا، لأن هؤلاء ما اتخذوا لهم منهجاً يُعلنونه ويتبنونه على خلاف الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، كما هو شأن الفِرَق الأخرى المعروفة منذ القديم.

فما أدري؛ إذا تُلاحظ في الجلسة التي يُشير إليها؛ فإذا كان موجوداً مثلُ هذا اللفظ فتُلفت نظري إليه، وهذا ما أستبعده جداً. وجزاك الله خيراً يا أبا الحسن على ما نبّهتني، ولو أن غيرك قال : «وأنا منهم» ما أهمني ذلك».

- أحد الجالسين - والظاهر أنه أبوليلى الأثري الذي تولّى تسجيل محاضرات ومجالس الشيخ - يقول: «ممكن شيخنا؟ هنا توجد نقطة».

- الشيخ : «تفضل».

- أبوليلى : «طبعاً هنا أنت - شيخنا - شرحت شرحاً حول : لو أنك قلت هذا الشيء لتَرَاجع.

هل أُبقي ما قلتَه؟».

- الشيخ: «أين قلتُ؟!».

- أبو ليلى : «لو أنك قلتَ».

- الشيخ: «لا، ما نحكي ب «لو» الآن.

تسمعني الشريط، ولكل حادث حديث».

- أبو الحسن: «من بركة جوابكم هذا أني أردت أن أسأل في مسألة؛ واختَلَفَ في تفسير كلمة منكم إخوانُنا طلبة العلم هناك - في اليمن - ، وذلك أنكم سُألتم عن الإخوان المسلمين: هل هم من أهل السنة؟

فقلتَ: كيف يكونون كذلك؟! ولهم قدر أربعين سنة وهم يحاربون السنة.

فقال كثير من طلبة العلم: الشيخ يخرجهم إلى الفِرَق الضالة!

قلت: هذه الكلمة من الشيخ لا يلزم منها أن الشيخ يتبنى ما قلتم؛ فممكن أن يُخَالِفَ السنةَ، وأن يُحارِبَ أهل السنة ويفعل كذا رجلٌ - وإن كان مخطئاً فيما يفعل، ويُحذَّر منه، ويُبيَّن خطأه، ويُشهَّر به، على حساب المصالح والمفاسد والقواعد الشرعية في هذا الباب - إلا أنه لا يلزم من ذلك أن يكون من الفرق الثنتين والسبعين الفرقة الهالكة في كل أمره ويُصنَّف معهم.

فالحمد لله؛ في جوابكم هذا ما يكون جواباً - أيضاً - على السؤال الذي أردت أن أسأل فيه. وبارك الله فيكم».

- الشيخ: «أحسنتَ، بارك الله فيك».

- أحد الجالسين: «يا شيخنا، في نص كلامكم في المسألة السابقة أنه قال لكم: السلفيون الذين تحزبوا هل خرجوا عن الفرقة الناجية؟ قلتم: نعم؛ خرجوا عن الفِرقة الناجية».

- الشيخ[1]: «في هذه الجزئية».

- أبوالحسن: «هذا طيب، جيد هذا القيد: (بهذه الجزئية)».

---

(١) (١٢:٠٩:٠١).

- الشيخ: «نعم».

- أبوالحسن: «ويبيِّن أمرهم، ويُنصحون، ويُحذَّر الطلبة من هذه الأشياء. كل هذا جانب، وكون أنهم يُصنَّفون ويُحشرون في الفِرَق الهالكة شيء آخر».

- الشيخ: «إي نعم».



- يسأل الشيخ سائل من السعودية فيقول[1]: «متى يُخرَج الرجل من دائرة أهل السنة؟ هل إذا اعتقد اعتقاداً غير اعتقادهم، أو إذا وقع في شيء قليل مما يخالف اعتقادهم؟».

- الشيخ: «أقول - والله عزوجل أسأله التوفيق إلى الصواب فيما أقول-:

لقد اشتهر بين كثير من العلماء قديماً وحديثاً: أن المسلم إذا أخطأ فيما يسمى عند العلماء بالفروع يُعذَر، أما إذا أخطأ في الأصول؛ في العقيدة فلا يُعذر.

نحن نعتقد أن هذا التفريق:

أولاً: ليس له دليل من الشرع.

ثانياً: أن المسلم من الواجب عليه أن يتقصد دائماً وأبداً أن يعرف الحق مما اختلف فيه الناس، سواء كان ذلك متعلقاً بالأصول، أو بالفروع، أو بالعقائد، أو بالأحكام، فإذا أفرغ جهده لمعرفة الحق فيما اختلفوا فيه فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، كما هو معلوم من حديث الرسول - عليه الصلاة والسلام - المروي في الصحيح: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد».

هذا هو الأصل.

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ٧٣٤): (٠٣:٠٩): تسجيل سنة: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

فإذا كان المسلم حريصاً على معرفة الحق، ثم أخطأه - ولو كان في العقيدة، أو في الأصول - فهو غير مؤاخَذ: أولاً، بل هو مأجور على خطأه أجراً واحداً: ثانياً. لما سبق ذكره[١].

يؤكد هذا - كما في الصحيح أيضاً من حديث حذيفة بن اليمان وغيره من الأصحاب الكرام - أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

كان فيمن قبلكم رجل لم يعمل خيراً قط، فلما حضرته الوفاة جمع بنيه حوله فقال لهم: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال: فإني مذنب مع ربي، ولَئِن قدِر الله علي ليعذّبني عذاباً شديداً، فإذا أنا مت فخذوني وحرّقوني بالنار، ثم ذروا نصفي في البحر، ونصفي في الريح. فمات الرجل، وحرقوه بالنار، وذرّوا نصفه في البحر، ونصفه في الريح. قال الله عزوجل له: كوني فلاناً. فكان بشراً سوياً، قال له: أي عبدي ما حملك على ما فعلت؟ قال: ربي خشيتك. قال: فإني قد غفرت لك.

---

(١) ويقول - في: «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:١٤٩) : (١٩:٢٤) - بعد كلام له في «سعيد حوى»: «أساس كل عمل هو الإخلاص؛ فإذا أخلص المسلم لله عزوجل في عبادته وطاعته غُفر له ما قد يُحيط به من أخطاء فكرية أو عملية.

وبالعكس؛ لا:

إذا الإنسان كان بخاري زمانه في الحديث، وأبا حنيفة في الفقه؛ ثم لم يكن في كل ذلك مخلصاً لله؛ فيصدُق عليه قولُه تبارك وتعالى ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ .

فالرجل له أخطاءه، وله حسناته.

ونرجوا الله عزوجل أن يصحح سلوكنا جميعاً، وأن يوفقنا لصواب العمل».

فالله عزوجل قد غفر لهذا الإنسان مع أنه وقع في الكفر والشرك؛ لأنه ما أوصى بهذه الوصية - التي ربما لا يكون لها مثيل في كل الوصايا التي وصلت إلى علمنا من حيث جورها وظلمها - إلا خوفاً منه.

فإذا كان المسلم يبتغي وجه الله عزوجل في كل ما يدين الله به ويعتقد فيه لكنه أخطأ الصواب؛ فلا شك أن الله عزوجل يغفر له خطأه، بل ويأجره أجراً واحداً. هذا الذي ندين الله به ونفتي به دائماً وأبداً.

وخلاصة ذلك: أن الأصل والقاعدة أن الله لا يؤاخذ الإنسان على ما أخطأ، وإنما على ما تعمد».

- السائل[1]: «متى يُخرج الرجل من أهل السنة؟ هل إذا اعتقد اعتقاداً غير اعتقادهم، وإذا وقع في شيء مخالف لما كان عليه أهل السنة - ولو في فرع واحد - هل يطلَق عليه أنه مبتدع؟».

- الشيخ: «هذا سؤال مهم، لكن يمكن أن يفهم جوابه على ضوء الجواب عن السؤال السابق:

فنقول: إن كان ابتغى وجه الحق والصواب فأخطأه فلا يجوز أن يقال: «إنه ليس من أهل السنة والجماعة»؛ لمجرد أنه وقع في خطأ، أو - لنقل كما جاء في سؤالك : - وقع في بدعة.

كثير من العلماء - كما يعلم طلاب العلم، فضلاً عن أهل العلم - يقعون في الحرام، ولكن هل يقصدون الحرام؟

---

(١) (٢٠:١٠).

حاشاهم.

فهل يأثمون بذلك؟

الجواب: لا.

لا فرق – إذن – بين عالم يقع في استحلال ما حرم الله باجتهاد هو مأجور عليه، وبين عالم آخر وقع في بدعة دون أن يقصدها، وإنما قصد السنة فأخطأها.

ولذلك؛ فنحن نشكوا الآن من هذه الثورة التي ثارت في السعودية الآن بين أهل السنة أنفسهم؛ حيث أنه ظهر فيهم من يُظن بأنه خالف أهل السنة في بعض المسائل، فبدّعوه، وخرّجوه عن أهل السنة. حسبهم أن يقولوا بأنه : (أخطأ). أولاً.

ثم عليهم أن يقيموا الحجة عليه من الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح. ثانياً.

أما أن يزيدوا في الفُرقة فُرقةً وخلافاً فهذا ليس من عادة أهل السنة والجماعة أبداً[1].

---

(١) يقول ـ في : «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٧٩٩) : (٤٤:٢٨) ـ : «.. سلفنا الصالح. ونحن نزعم أننا نمشي على منهجهم وعلى طريقتهم، لكني أقول مع الأسف الشديد:

كثير منا يدعي هذه الدعوى ويطبقها إلى حد كبير، ولكنه ينحرف في بعض التطبيق انحرافاً خطيراً جداً، وهذه آثارها ـ الآن ـ تظهر وفي شعب كنا نظن أنه سيكون القدوة للشعوب الأخرى في تلميم وتجميع هذه الشعوب على اتّباع السلف الصالح؛ اتّباع الكتاب والسنة، وعلى منهج السلف الصالح».

لذلك؛ فلا يجوز أن يُنبَذَ من قد يخطيء في مسألة - على التفصيل السابق - سواء كانت أصلية أم فرعية، عقدية أم فقهية. لا يجوز أن يُضلَّل، وإنما يعامل بالتي هي أحسن».

- السائل: «وإذا تمكن أهل السنة من إحضار ذلك الشخص وإقامة الحجة عليه فيما خالف فيه منهج أهل السنة، ومع ذلك أبى الرجوع إلى ما هم عليه من الحق، فهل يُبدَّع أو لا؟».

- الشيخ: «هذا أيضاً جوابه مفهوم:

إذا عاند وأصر فيبدَّع.

أما إذا قال: «لم يظهر لي وجه الصواب فيما تقولون»، بل هو يعكس ذلك عليهم، وهو يُخَطِّئهم بدوره، فتبقى المسألة مسألة خلافية بينهم وبينه.

ولا ينبغي أن نعتقد أننا علمنا أنه اعتقد في قلبه خلاف ما يبوح هو بلسانه؛ فيكون منافقاً. لسنا نحن كما أشار الرسول - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: «هلّا شققت عن قلبه؟!»؛ حينما أعلن ذلك المشرك الذي وقع تحت ضرب سيف المسلم فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله» فما أبى له وقتله - معروف القصة - فقال له عليه الصلاة والسلام: فأين أنت وقوله: «لا إله إلا الله»؟! قال: يا رسول الله ما قالها إلا تقية أو خوفاً من القتل. فكان كلامه - عليه الصلاة والسلام - أن قال: «هلّا شققت عن قلبه؟!»، وهو مشرك، والظاهرة تشعر بلا شك أنه قالها خوفاً من القتل.

فما بالنا بالمسلم! يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقول بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح؛ لكنه أخطأ في مسألة، (وأقيمت عليه الحجة). وهذا نقوله بشيء من التحفظ؛ لأنه ليس كل من يجادل يكون على علم.

لكننا نفترض أنه: (فعلاً أقيمت عليه الحجة من عالم أو من علماء أفاضل؛ لكنه ما اقتنع بها) فحسيبه الله.

ولا يجوز نحن أن نغلِّب خطأ أو أخطاء على جمهرة من الصواب.

الأمر في هذه المسألة العلمية هو تماماً كما يتعلق بالصلاح والطلاح؛ فلا يمكن لمسلم أن لا يقع في مخالفة شرعية؛ أي: لا بد أن يرتكب سيئة أو خطيئة ، وكل منا خطّاء - كما نعلم جميعاً - ؛ فهل إذا رأينا رجلاً أخطأ خطيئة ما، أو ارتكب إثماً ما قلنا عنه إنه فاسق، فاجر؟! أم العبرة بما يغلب؟

بما يغلب.

كذلك المسألة العلمية تماماً».

- السائل: «ذكر شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - في «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أهل الجحيم»: أن الرجل قد يحضر في مناسبة كمولد ونحوه من البدع؛ ويثاب على حسن قصده وعدم علمه بأن ذلك الأمر الذي حضره أمر مخالف لما جاء عن الله ورسوله ﷺ.

فما قولكم في ذلك؟».

- الشيخ: «لا شك أن هذا كلام رجل عالم، وحسبك أن القائل هو شيخ الإسلام ابن تيمية.

هو يقول: «وهو لا يعلم» فهل نقوله له: «اعلم كل شيء»؟!

لكن أنا سأقول شيئاً آخر:

يجوز للمسلم أن يحضر موضعاً من مثل هذه المواضع وهو يعلم أنها محدَثة، وأنها غير مشروعة، لكنه لا يحضرها تزلفاً، ولا مراءاة، وإنما يحضرها لكي ينبه على عدم شرعيتها، أو إذا لم يتمكّن أو يُمكِّنه الوضع العام من أن ينكر أصل هذه البدعة فهو ينكر ما قد يقع في هذا الأمر مما إذا أنكره لا تترتب عليه مفسدة هي أكبر من المصلحة التي هو ينبه عليها ويذكر الناس بها.

هذا - طبعاً - انطلاق من القاعدة الفقهية المعروفة لدى أهل العلم أن: جلب المصلحة قبل دفع المفسدة، والعكس تماماً إذا كانت المفسدة المظنون وقوعها هي أكثر من المصلحة التي ينشُدها.

ونحن نعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحضر مجامع المشركين ونواديهم، ولا شك أنها كانت تقع فيها منكرات كثيرة وكثيرة جداً.

ومن منّا لا يعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وهو يصلي في المسجد الحرام - كان يؤذىٰ، وكان يوضع السلا والقذى - والنجاسة ربما - على ظهره، لكنه كان يحضر المجالس ليقوم بواجب دعوتهم إلى التوحيد؛ كما هو معلوم من سيرته عليه الصلاة والسلام.

لكنه إلى جانب هذا حينما فتح الله له مكة، ودخل، وصلى في جوف الكعبة، وأرادت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أن تقتدي بنبيها وزوجها فتصلي في جوف الكعبة قال لها عليه الصلاة والسلام: «صلّي في الحِجر؛ فإنه من الكعبة، وإن

قومك لما قصُرت بهم النفقة أخرجوا الحِجر عن الكعبة» قال عليه الصلاة والسلام - وهنا الشاهد - : «ولولا أن قومك حديث عهد بالشرك لهدمت الكعبة ولبَنَيْتُها على أساس إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولجعلت لها بابين مع الأرض؛ باباً يدخلون منه، وباباً يخرجون منه».

فإذن؛ هو - عليه الصلاة والسلام - ترك الكعبة على النقص الذي جدّدت بناءَه العرب في الجاهلية. لماذا؟

قال: لولا أن قومك حديث عهد بالشرك لهدمت الكعبة.

خشي - عليه الصلاة والسلام - من الذين أسلموا حديثاً أنهم لو رأوا الرسول عليه الصلاة والسلام هدم الكعبة: ها! ما ترك لنا شيئاً؛ حتى بيت الله الحرام هدمه.

فإذن؛ الرسول - عليه الصلاة والسلام - قد سَنَّ لنا حكمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمثل هذه الكلمة الطيبة.

فإذا حضَر رجل مشهداً أو موضعاً فيه منكر؛ فيه محدَث؛ لكي يُصلح فهو يؤجَر على ذلك.

أما أنه لا يعلم أنه منكر ومحدث فلا شيء عليه، فهو ونيته؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله».



- يقول[1] الشيخ: «جوابي هذا على سؤالك هذا يذكرني بمناقشة جرت في مجلس لأول مرة حينما انتُدبت للتدريس في الجامعة الإسلامية، وقبل أن تفتتح أبواب الدراسة اجتمعنا في مجلس في سهرة مع بعض أهل العلم والفضل ، فأُثير هذا الموضوع؛ فقال بعضهم بأنه: «دعوة الإسلام الآن بلغت كل بلاد الدنيا» وأتبع كلامَه بقوله: «القرآن - والحمد لله - يذاع من كل البلاد الإسلامية إلى كل أقطار الدنيا».

وأنا أجبت بما خلاصته:

يا أستاذ؛ أنت تقول: «القرآن» وأنا أقول معك كما قلت؛ لكن العرب كأمة فيهم الآن من لا يفهم القرآن، فكيف تريد من الأعاجم الألبان، والبريطان، والأمريكان أن يفهموا القرآن بلغة القرآن وغير مترجم إلى لغتهم على الأقل؟! كيف تقوم الحجة على هؤلاء بأن يسمعوا القرآن يتلى بلغة القرآن؟! هذا لا يعني أنه أقيمت الحجة عليهم.

ولذلك فأنا أقول: الذي بلغته الحجة لا بد من أن يَفهم الحجة.

وأنا أضيف شيئاً آخر:

ليس كل من ينقُلُ الحجةَ يُحسِن نقلها؛ قد يكون الذي نُقِلت إليه الحجّة يفهمها؛ لكن قد يكون الناقل لم يُحسن نقلها، ولذلك فقيام الحجة على شخص ما ليس من السهل نحن أن نقول: أقيمت الحجة على فلان.

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٦١٦) : (٢٥:٠٦).

ولذلك؛ أنا كثيراً ما أعترض على بعض إخواننا المبتدئين في طلب العلم، والسالكين معنا في هذا الدرب (من الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح) ومتحمسين؛ فيقول أحدهم: أنا البارحة اجتمعت مع الشيخ فلان، أو الدكتور الفلاني؛ وناقشتُه في مسألة الإستغاثة بغير الله، أو التوسل - أو ما شابه ذلك - وقلت: هذا لا يجوز، هذا حرام، هذا شرك، وإلى آخره، وهو يصلي بنا إماماً، فأنا أقمت الحجة عليه، فهل تجوز صلاتي خلفه؟

أنا أقول: أنت كيف تتصور أنك أقمت الحجة عليه وأنت بعدُ لا تزال - في التعبير السوري - في الرقراق؟! يعني: قي الضحضاح. يعني: في أول العلم.

فما ينبغي أن نتصور أن كل طالب علم يستطيع أن يقيم الحجة على المسلم الضال، فضلاً عن الكافر المشرك[1].

لكن كل إنسان مكلف أن يبلِّغ ما يستطيع؛ أما هل قامت الحجة عليه أم لم تقم؟ هذا علمه عند ربي.

ولذلك؛ أنا ما أتصور أن كل شخص أُفهم الحجة وبالتالي قامت عليه الحجة.

---

(١) ويقول - في: «سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم: ٧٥٤) : (٠٤٠:٢٤) : تسجيل سنة : ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م - : «أنا لا أعتقد أن كل طالب علم، بل لا أعتقد أن كل عالم - فضلاً عن طالب العلم - يستطيع أن يقيم الحجة على خصمه؛ مهما كان هذا الخصم عريقاً في الضلال؛ لأن طالب العلم، بل العالم، ولنقل السلفي قد يكون في عقيدته سليماً؛ لكن لا علم عنده بالحجج التي تبطل دعوى المبتدع المخالف إلا بعض الأشياء اطمأن هو في الأصل لصحة العقيدة بها وبغيرها، ثم بقي لديه قليل من كثير من تلك الأدلة؛ فهو حينما يقدمها لمن يخالفه من المبتدعة يظن أنه قد أقام الحجة، وليس الأمر كذلك».

لكن أنا أقول: من علم الله عزوجل منه أنه قامت الحجة عليه، وتبينت له، وجَحَدها؛ فهو الذي يُحكَم عليه بالنار يوم القيامة.

ولذلك؛ كما تعلمون جميعاً أن الكفر مشتق من معنى الطغطية. فحينما نقول: «فلان كافر» يعني: تبين له الحق ثم حاد عنه، ولذلك قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾.

فأي كافر بلغته حجة الله عزوجل وفهمها جيداً، ثم جَحَد فهذا الذي يُعذَّب.

ولذلك؛ ربنا عزوجل وصف بعض أهل الكتاب بقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ ويعني نبيَّه عليه الصلاة والسلام؛ فهم يعرفون أن محمداً عليه الصلاة والسلام رسول وصادق، ومبعوث إلى الناس كافة، وليس إلى العرب فقط - كما قالت بعض الطوائف من اليهود - . يعرفونه كما يعرفون أبناءهم؛ لكن مع ذلك تعصبوا على من كانوا ينتظرونه أن يُبعث منهم وفيهم.

هذا هو الذي أعتقده بالنسبة لسؤالك المذكور آنفاً».

- السائل: «شيخ؛ توجد آيات من القرآن تبين أن الله تبارك وتعالى يجعل بين الكافرين والقرآن حجاباً؛ فلا يفقهون ما يقوله تبارك وتعالى، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ ؛ فهنا عندما يكون الإعراض عن سماع الدين وفهمه وفهم الحجة سبباً لعدم فهمه للحجة؛ فهل تكون الحجة قائمة في مثل هذه الحالة؟».

- الشيخ: «هذا الجعلُ هو جعلٌ شرعي، وليس كونياً. لعل هذا التفريق واضح عندك؟

يعني: هذا الجعل سببه هو كفرُ هذا الإنسان، وسعيه إلى الكفر، وعدم فتح قلبه للحق فيما إذا جاءه.

وأضرب الآن لك مثلاً بعد ذلك التفصيل الذي ذكرته آنفاً - : أن (المفروض أنّ المنذَرَ أو المبلَّغَ أن تقوم الحجة عليه فيما إذا فهمها) نحن لماذا قلنا هذا؟

لأننا أمةُ خاتم الأنبياء والرسل؛ فليس بعده من رسول، فإذن؛ من الذي سيبلغ الدعوة؟

هم أتباع هذا الرسول.

أتباع هذا الرسول كما شرحنا آنفاً فيهم طلبة العلم، ومبتدئون، و، و، إلى آخره.

الآن؛ سؤالك السابق أُصوره بصورة ضيقة جداً: - هل يمكن أن نتصور رسولاً، بل نبياً بلَّغ قومه شريعة الله عزوجل، كما قال عزوجلّ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ مع ذلك نتصور إنساناً عادياً ولم يفهم الحجة من ذاك النبي؟ هل يمكن هذا؟».

- السائل: «لا».

- الشيخ: «إذن؛ حُجّة الله بطبيعتها أن تكون قائمة على كل إنسان، لكني أنا وضعت قيداً: (إنسانٍ طبيعيٍّ)؛ أعني: غير مصاب بآفة من آفات الجنون، أو الغيبوبة عن الفهم، و، و، إلى آخره.

فأيُّ قوم، وأيُّ فردٍ سليم الفهم والعقل قامت حجة الله عليه لا شك أنه فهمها.

لكننا نحن الآن لا نستطيع أن نقول: (إننا بمنزلة الرسول بل النبي في أننا نحسن إقامة الحجة على أي طائفة، أو جماعة، أو فرد).

فمن هنا إذن؛ نحن لا نستطيع أن نتصور - كما قلتُ آنفاً - أن حجة الله قامت على كل من نُقلت إليه الحجة؛ لاحتمال أن النقل لم يكن سليماً؛ كان ناقصاً.

والأمثلة الآن كثيرة وكثيرة جداً:

الآن؛ أظن كل إخواننا الحاضرين يعلمون أن هناك جماعات منحرفة عن الإسلام؛ كلاً، أو بعضاً، أو جزءاً، يَدعون إلى الإسلام بنشاط؛ حتى يدخل اليهود والنصارى في إسلامهم، ولا أقول في الإسلام، كالقاديانية مثلاً.

فهؤلاء يبلغونهم الإسلام بمفهومهم المنحرف عن الإسلام الصحيح:

فهم - مثلاً - يبلغونهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام ليس ﴿خاتم النبيين﴾ بالمعنى المفهوم عند أهل السنة، وإنما هو بمعنى مفهوم عند القاديانية: ﴿خاتم النبيين﴾ يعني: زينة النبيين. وتوجد أنبياء بعد الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد جاء أحدهم - زعموا - وهو ميرزا غلام أحمد القادياني، وسيأتي آخرون أيضاً في زعمهم.

فهذا النصراني الذي أسلم وهو يحمل هذه العقيدة ليس مسلماً بالمعنى الصحيح؛ لأن الحجة لم تقدَّم إليه بالمفهوم الصحيح بمثل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، والحديث المتواتر معناه: «ولكن لا نبي بعدي».

كذلك هم - مثلاً - يُنكرون كثيراً من الأخبار الغيبية كمِثل «الجنّ» خلقاً من خلق الله، كالملائكة.

فهم ينكرون أن يكون هناك ناس؛ خلْق من خلْق الله، مكلّفون كالإنس بالطاعة، ومنهيّون عن المعصية، وهم الجن. لا، ينكرون هذه الحقائق كلّها.

لكن هؤلاء يَدعون إلى الإسلام، يَدعون إلى شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويؤمنون بأركان الإسلام الخمسة، و، و، إلى آخره. لكن إسلامهم ليس صحيحاً.

فإذن؛ أولئك الذين يُدعون من قبل القاديانيين لم تقم حجة الله عليهم بالإسلام الصحيح، ولذلك أنا ما أتصور هؤلاء يوم القيامة يقال لهم: «لِمَ قلتم بأن هناك أنبياء بعد محمد؟ والقرآن يقول كذا» لأنهم أعاجم؛ لا يفهمون القرآن، وتُرجم لهم القرآن بمعنى خطأ. وهكذا».



- يقول[١] الشيخ: «أما مَن هو الذي يُقال فيه : «إنه مبتَدِع»؟

فهو الذي خالف قوله - عليه الصلاة والسلام - : «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»، ثم أخذ يتقرب إلى الله عزوجل بالإبتداع في دين الله، أو يتقرب بما ابتدَع غيره في دين الله عزوجل.

أما من صدرت منه بدعة - وهو لا يريدها كقاعدة، هو في القاعدة مع قوله عليه الصلاة والسلام : «كل بدعة ضلالة» ، ولكن أخطأ وابتدع كما يقع من بعض المجتهدين ؛ أحياناً يقولون عن شيء : «إنه مباح» وهو حرام. هذا لا يجوز في الإسلام - لكن إذا وقع في مثل هذا مجتهداً فله أجر، ولا يقال: إنه وقع في الحرام.

كذلك إذا صدرت بدعة من غير مبتدع، إنما باجتهاد منه، لكن الحقيقة أنها بدعة، فلا يقال فيه: مبتدِع».



---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٧٠٤) : (٥٥:٢٥).

- يقول[1] الشيخ: «إن وقوع العالم في البدعة لا يعني أنه مبتدع. وإن وقوع العالم في ارتكاب المحرم؛ أي: في القول بإباحة ما هو محرم - طبعاً اجتهاداً منه هنا وهناك - لا يعني أنه ارتكب محرَّماً.

فأقول: أثر أبي هريرة هذا - الذي ينص على أنه كان يقومُ يوم الجمعة قبل الصلاة يعظ الناس ويذكِّرهم - يصلُح أن يكون مثالاً صالحاً لكون البدعة قد تَقَع من رجل عالم، ومع ذلك ليس هو مبتدعاً.

.. المبتدع: هو الذي من عادته الإبتداع في الدين، وليس الذي يبتدع بدعة واحدة، ولو كان هو فعلاً ليس عن اجتهاد؛ وإنما عن هوى، مع ذلك هذا لا يسمى مبتدِعاً.

وأوضح مثال لتقريب هذا المثال:

أن الحاكم الظالم قد يعدل في بعض أحكامه؛ فلا يقال فيه: عادل.

كما أن العادل قد يظلم في بعض أحكامه؛ فلا يقال فيه: ظالم.

وهذا يؤكد القاعدة الإسلامية الفقهية أن: «الإنسان بما يغلب عليه من خير، أو شر».

إذا عرفنا هذه الحقيقة عرفنا من هو المبتدع؛ فيُشتَرط في المبتدع - إذن - شرطان:

الأول: أن لا يكون مجتهداً، وإنما يكون متَّبِعاً للهوى.

الثاني: أن يكون ذلك من عادته وديدنه.

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٧٨٥) : (١٩:٣٩) : تسجيل سنة : ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

فإذا لاحظنا هذين الشرطين، وجئنا إلي أثر أبي هريرة المذكور آنفاً عرفنا أن كلاً من الشرطين غير متوفر في أبي هريرة.

نحن نقول: نعم، هذه بدعة؛ لأنها مخالفة للسنة - وسيأتي البيان - ، لكن ما نقول: إن أبا هريرة مبتدع.

ومن هنا غاب عن أذهان كثير من إخواننا أهل السنة (..)[1] حينما نقموا عليّ قولي بأن: «وضع اليمنى على اليسرى في القيام الثاني بدعة» : كيف أنت تقول بدعة! والشيخ الفلاني والشيخ الفلاني يقول هذا سنة، إذن هم مبتدعة؟!

عرفتم الجواب الآن؛ أنه: لا، ليسوا مبتدعة، لكن هذا الفهم على الأقل في نقدي، وفي وجهة نظري هو بدعة».

❊ ❊ ❊ ❊

(١) كلمة غير واضحة.

- يقول[1] للشيخ قائل: «أنا قرأت أمس - شيخنا - من الأخ مقبل بن هادي في كتاب له اسمه «صحيح المسند من دلائل النبوة» ؛ فهو في المقدمة يصف الشيخ محمد رشيد رضا بالضلال، يعني يقول هو كان ينضم إلى الأندية الماسونية، فذكر أيهم أضر على الإسلام؛ فذكر محمد جمال الدين الأفغاني الرافضي - هكذا تسميته - والشيخ محمد عبده، وقال: محمد رشيد رضا وليس كسابقيه في الضلال».

- الشيخ: «يعني هما أضل؟».

- القائل: «نعم».

- الشيخ: «سامحه الله!

نحن - بلا شك - لا نؤيد الإنضمام إلى أي جماعة ؛ خاصة إذا كانوا معروفين بالمروق عن الشريعة. لكن نحن نتصور أن المسألة قابلة للإجتهاد.

فأنا أظن في سيد رشيد رضا - وهو قد خدم الإسلام خدمة جلة - أن انضمامه إلى الماسونية إنما كان باجتهاد خاطئ منه، ولم يكن لمصلحة شخصية كما يفعل كثير ممن لا خلاق لهم. فنسبته للضلال؛ لأنه صدر منه خطأ وضلال؛ هذا أظن توسع غير محمود في إطلاق الضلال على مثل هذا الرجل الذي في اعتقادي له المنة على كثير من أهل السنة في هذا الزمان بسبب إشاعته لها ودعوته إليها في مجلته المعروفة بالمنار، حتى وصل أثرها إلى بلاد كثيرة من بلاد الأعاجم المسلمين، لذلك أرى أن هذا فيه غلوٌّ من الكلام؛ ما ينبغي أن يصدر من مثل أخينا هذا مقبل.

وعلى كل حال:

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم:٤٢) : (١٦:٤٧).

تريد صديقاً لا عيب فيه وهل عود يفوح بلا دخان؟!

❋ ❋ ❋ ❋

- يسأل الشيخ سائل فيقول[1]: «أنا أعمل في مجال التسجيلات الإسلامية (الأشرطة)، وقد عَنَّ لي أن أسأل بعض أهل العلم فيما يتعلق بالمسؤولية عن نشر أشرطة بعض من لا ينهجون منهج السلف؛ ينتمون مثلاً لبعض الجماعات التي نعرفها في الساحة؛ كجماعة الإخوان المسلمين، أو التبليغ، أو ما إلى ذلك.

فبعضهم أفتى بأن لا أسجّل، أو أنشر هذه الأشرطة بالمرة.

والبعض الآخر قال: تَخيَّر منها ما ترى فيه الصلاح، ولا يكون فيه تصريح بمخالفة لمنهج السلف.

فالحَيرة ما زالت تلازمني حتى الآن. وأسأل الله عزوجل أن يزيل هذه الحيرة بما تراه وتشير به علينا في هذا المجال. جزاكم الله خيراً».

- الشيخ: «لا شك عندي أن الرأي الثاني الذي حكيتَه عن بعض أهل العلم هو الصواب؛ لأن «الحكمة ضالة المؤمن من أين سمعها التقطها».

هذا الحديث وإن كان حديثاً ضعيفاً لا يصح، وولع به بعض الناس في بعض البلاد؛ فكتبوه في اللوحات، وعلقوه في صدور المجالس على أنه حديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس بالثابت. ولكن حسبنا منه أن يكون حكمة فعلاً؛ فحينئذٍ نعمل بها، ولا نتعصب لمذهبنا اعتباراً بتعصب أصحاب المذاهب الأخرى.

---

(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني /فتاوى جدة» (الشريط رقم:٩) : (٠١:٠٩:٠١) : تسجيل سنة : ١٤١٠ هـ.

فنحن أتباع الحق حيثما كان هذا الحق، ومن حيثما جاء، فالحكمة ضالة المؤمن أين وجدها التقطها.

فإذا وقفتَ على مقال، أو على بحث علمي لجماعة من تلك الجماعات التي – مع الأسف – لا تنهج منهج السلف؛ لكن كان فيه تذكير بآيات الله، ببعض أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة؛ فليس هناك ما يمنع من نشر هذه البحوث بطريقة التسجيل؛ ما دام أنه ليس فيها ما يخالف الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

وهذه المشكلة في الواقع لا تنحصر بالتسجيل، بل تتعداه حتى إلى المؤلَّفات، وهي أكثر انتشاراً من المسَجَّلات هذه.

فهل يصح لناشر الكتب ، أو بائع الكتب أن يطبع ما ليس على منهج السلف الصالح؟ وهل يجوز له أن يبيع كذلك مثل هذه الكتب؟

الجواب: قد لا يخلو كتاب ما من مخالفة ما، وإنما العبرة بملاحظة شيئين اثنين:

أولاً: أن لا يكون الكتاب – وعلى ذلك التسجيل – داعية لمنهج يخالف منهج السلف الصالح.

ثانياً: أن يكون صوابه يَغلِب خطأه.

وإلا – كما قال الإمام مالك رحمه الله – : «ما منا من أحد إلا رَدّ ورُدَّ عليه إلا صاحب هذا القبر».

ولذلك؛ فالتسجيل، وطبع الكتب، وبيعها يجب أن يراعى فيها هاتان القاعدتان.

وإذْ سألتَ عن تسجيل ليس فيه مخالفة للمنهج السلفي فأنا لا أرى مانعاً - أبداً - من نشر مثل هذا التسجيل؛ لمجرد أن الذي يتحدث فيه ليس سلفي المنهج، وإنما هو خلفي، أو حزبي، أو ما شابه ذلك.

هذا هو الذي يقتضيه العلم، ويقتضيه الإنصاف، وتقتضيه محاولة التقريب بين الإختلافات القائمة اليوم بين الجماعات الإسلامية مع الأسف».

- السائل: «إكمالاً لهذا الأمر؛ بعض القائلين بالمنع من هذا الأمر يقولون: إن في نشر حديث أو شريط لمثل هؤلاء فيه تزكية لمنهجهم، وكأنه رضاً بكل ما يقولون غثه وثمينه».

- الشيخ: «أعتقد أن هذا فيه مبالغة.

لو فرضنا رجلاً ألّف رسالة جمع فيها أحاديث الأذكار من صحيح البخاري، وهو ليس سلفي المنهج؛ كيف يصدُق هذا الكلام عليه؟ وما صلة نشر مثل هذه الرسالة بتأييد منهجه؟!

لا، نحن نؤيد منهجنا بنشر رسالته ؛ لأنه سلك طريقتنا في اختيار ما صحّ عن نبينا ﷺ.

فأنا أعتقد أن فيه مبالغة. والله أعلم».



- يقول[١] الشيخ - في آخر حياته في مرضه الذي توفي فيه، موصياً الدعاة السلفيين وناصحاً - : «وعلينا - كما قلتُ في جلسة سابقة ، وأعيد ذلك مرة أخرى، وفي الإعادة إفادة - أن نترفق في دعوتنا بالمخالفين إليها، وأن نكون مع قوله - تبارك وتعالى - دائماً وأبداً : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾.

وأحق من يكون باستعمالنا معه هذه الحكمة هو من كان أشد خصومة لنا في مبدأنا، وعقيدتنا، حتى لا نجمع بين ثقل دعوة الحق التي امتن الله عزوجل بها علينا، وبين ثقل سوء أسلوب الدعوة إلى الله عزوجل.

فأرجو من إخواننا جميعاً في كل بلاد الإسلام أن يتأدبوا بهذه الآداب الإسلامية، ثم أن يبتغوا من وراء ذلك وجه الله عزوجل، لا يريدون جزاءً ولا شكوراً.

ولعل في هذا القدر كفاية. والحمد لله رب العالمين».



(١) «برنامج أهل الحديث والأثر/ سلسلة الهدى والنور» (الشريط رقم : ٩٠٠) : (١١:٠٨) : تسجيل سنة : ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م.